الجواب الكافي
لمن نوى الهدنة مع العدو
ظاهراً أو خافي
أو
(وصفة الصياد)

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

الجواب الكافي

لمن نوى الهدنة مع العدو

ظاهراً أو خافي[1]

أو

(وصفة الصياد)

(١) وهذه لغة ربيعة.


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وصحبه وبعد:

بات من الواضح أن المشروع الجهادي في العراق يمر بأصعب مرحلة له، ويقف على مفترق طرق خطيرة.

فبعد التضحيات الجسام التي بذلت على أرض الرافدين أصبح المشروع الجهادي يعيش حالة تجاذبٍ بين أهواء المنحرفين، وأحلام المغفلين. والمعافى من عافاه الله تعالى.

وبعد أن لاح النصر من بعيد وأصبح العالم كل العالم يتطلع إلى المجاهدين في العراق مشرئبة أعناقهم للضربة القاضية التي تطيح بالمارد الأمريكي، وتنهي أسطورة (**القوة التي لا تقهر**) فإذا بالعدو الماكر يتلفت إلى طوق النجاة الذي يخلصه من غرق وشيك!

راح الصياد ينصب الشباك والشراك ليوقع بالمجاهدين، شباك وأيُّ شباك، إنها (**المهادنة**).

إذ عرضت أمريكا على بعض الفصائل تسليمهم بعض المناطق السُّنية التي اغتصبها الروافض عنوة، وإعطاءهم المال والسلاح الخفيف ليتمكنوا

من حماية أنفسهم وأعراضهم ومناطقهم على أن لا يهاجموا القوات الأمريكية، ويسمحوا لها بالمرور في هذه المناطق إن رغبت في المرور، ممنيتهم بالرحيل القريب من العراق!

وافق هذا العرض من قِبل بعض فصائل المجاهدين قبولاً، ورأت فصائل أخرى أن في هذا التفاوض والهدنة ردة عن الدين بينما آثرت فصائل أخرى الانشغال بالحكم التكليفي ـ **وجوب القتال حتى طرد المحتلين وأذنابهم** ـ عن هذا الخلاف.

وإن تعجب فعجب من أولئك الذين ناجزوا المحتل، وعاهدوا الله على كسر الصنم، ورفع لواء الإسلام فوق القمم عندما راحوا يحلمون أحلام العصافير، ويهرعون وراء السراب..

متمسكين بخيط العنكبوت لعلهم يقطفون ثماراً يانعات، ولكن هيهات هيهات!!

فأردنا في هذه الصفحات أن نبيِّن المسألة ونقيم الحجة الدامغة على المنخدعين، محاولين كشف الشبه عن المشتبهين لعلهم يعودون إلى الحق المبين، وهذا من واجب المسلم على المسلمين. والله نسأل حسن القصد والرشد المبين.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الفصل الأول

المقدمات
فلنُقر، ولنقرر ابتداءً

أولاً: فلنقرر أنَّ السلامة في الاعتصام:

أرأيتم شيئاً أعزَّ من السلامة في آخر الزمان؟

أرأيتم أرضاً السلامة فيها أعزُّ من أرض تستعر فيها الفتن كأرض عراق اليوم؟

أرأيتم ملجأً من هذه الفتن إلَّا العروة الوثقى (**كتاب الله وسنة رسوله ﷺ**)؟

أيمكن أن ينادي رسول الله ﷺ على مَنْ تَرَكَ بعض عقب قدمه بالويل قائلاً:

«**ويل للأعقاب من النار**»[1]، ويعذر من كان عنده العروة الوثقى - وهو في وسط الفتن - إذا تركها وهلك؟

أيصيح الفاروق: «**هلكت**» لتقبيله زوجه في رمضان، ثم يرقد رجال ملءَ أعينهم قد جاوزوا أخطر الأحكام العملية وربما الأحكام العقدية؟

ها هي الأمور في البلاد قد آلت إليكم - أيتها العصائب المجاهدة -

(١) أخرجه البخاري (٦٠)، ومسلم (٢٤٢)، ومالك (٤٩)، وأحمد (٦٨١٠)، وأبو داود (٩٧)، والترمذي (٤١)، والنسائي (١/ ٧٧)، وابن ماجه (٤٥٥).

علماً وعملاً، فمن ذا الذي ابتلي ببلاء مثل بلائكم في هذا المنصب الخطير؟ ومن ذا الذي يجرؤ على الترقي لهذا المقام، ليروي لعباد الله عن الله عزَّ وجلَّ وعن رسوله ﷺ مراده، وربما بغير دليل ولا وجه دلالة؟

ومن ذا الذي يتقدم الناس قدوة ليعمل، ويعمل الناس وراءه، ويقول **وتُسفك الدماء لقوله؟ أو يقول: ويُترك الجهاد لحكمه؟**

أرأيتم كيف لم يتخلّص أولئك اللذان مرَّ رسول الله ﷺ بقبريهما، ولعلهما من أصحابه، من عاقبة رذاذٍ من البول، وشيء من النميمة إلا بشفاعة من رسول الله ﷺ؟ فمن ذا الذي يُخلِّص مَن أصابه رذاذ من دمٍ حرام بفتوى لسانه أو حدِّ سنانه؟ مَنْ يخلصه في قبره قبل القيامة؟ ومن يخلصه إذا قام الحساب وكان أول السؤال في الدماء؟

أترون القيامة عنكم بعيدة والموت يتخطف الناس من بين أيديكم ومن خلفكم وعن أيمانكم وعن شمائلكم؟

كأن قيامة أحدكم قد قامت أو كادت، فنظر باحثاً عن شفعاء أو شهود، فإذا الأفراد والأتباع شهود عليه، لأنهم رأوا نجاتهم في الآخرة بهلاك أميرهم، فلا نجاة لهم إلا بهلاكه، فهم إما أن يكونوا معذورين بخطئهم فيتحمل أوزارهم من أضلهم، أو يتحملوا أوزار أنفسهم..!

هذه هي القاعدة عند هؤلاء في الآخرة:

قال تعالى:

﴿. . . حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال سبحانه:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

فيا له من يوم عظيم يصبح فيه أحيانا كثرة الأتباع كثرة خصماء، ويصبح شهودك من قَبْل شهوداً عليك، وكثرة أعمالهم طاعة لك كثرة في أوزارك وأحمالك، إن لم تكن على الحق..!

فلا تغتر بجموع كأنك قد رَحلْت عنها أو رَحَلَتْ عنك، بل منهم من تركك ورحل، شاهداً لك أو شاهداً عليك، وتمام القضاء بانتظار حضورك..!

عجباً لحالنا: كيف نعاجل غيرنا من أصحاب الكراسي بقوله تعالى:

﴿.. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وحين آل إلينا إصدار بعض الأحكام من مقامنا الذي نحن فيه تجاوزنا حكم الله إلى حكم الأهواء، هذا ونحن لسنا من أهل الاجتهاد!

عجباً كيف نطبق على جموع الشعوب المتحاكمين قوله تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [المائدة: ٤٤].

ثم ننأى عن مناط الحكم؟ فمن أحقُّ الناس منا بهذا الحكم القرآني إذا نحن عرفنا حكم الله ولم نرضَ به، ولم نستسلم له، وامتلأت نفوسنا حرجاً من حكم القرآن والسنة؟

أرأيتم كيف نفى الله عزَّ وجلَّ عن المؤمن والمؤمنة ردَّ أي قضاء لله ورسوله ما داما مؤمنين فقال سبحانه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ...﴾ [النساء: ٦٥].

فمن لم يسلِّم فليس له إلا الشقُّ الثاني من الآية:

﴿... وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

لا تذهبوا بعيداً أيُّها الأخوة! نحن لا نتحدث عن حالات مضت، وأسباب بها الآيات نزلت، إنما نحن العراقيون الذين نقرؤها وتمرُّ علينا أحكام الله، حاكمين متحاكمين، أو مُبلغين بحكم الله، والله ناظر إلينا سبحانه، فكم من رجل صدق عليه حكم الله في الآية بالضلال المبين وهو يضحك بملءِ فيه مغترّاً بعمله، يحسب نفسه للمتقين إماماً، وهو من الأخسرين أعمالاً!

وكم من رجل رفع مقامه الاستسلام لحكم الله إلى منزلة الإمامة، كما قال سبحانه:

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وخطورة واقعنا العراقي نابعة من اشتداد الفتن فيه، وضعف رجوع الناس لأهل العلم بالكتاب والسنة، وتجاري الأهواء بالرجال، وتقديم كثير من أهل الميدان السيف اليماني على الدليل الرباني، واستباق سفك الدماء فتوى العلماء.. وتولي بعض أئمة الضرار فتاوى الخذلان والفرار..! فاللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنَّا.

إذاً تعال فلننظر إلى هذه النازلة التي يشيب لهول الغفلة عنها الولدان، وتضيع بتجاوزها البلدان..!

ثانياً: فلنقر بالتخبط، ولنقرر إيقافه:

مع أن التخبط لا يزال مستمرّاً في مسيرة بعض فصائل الجهاد، إلَّا أن المبشرات غَطَّت - في المدة السابقة - على المخاوف.. أما الآن فما كان يتخوف منه بعض أصحاب البصائر بدأ يطل بنذره، ونذره زوال الجهاد

على وجه الحقيقة «**لا قدَّر الله**»، وعلى أرض الواقع..! فوا أسفاه.. بل واغوثاه..!

وما لم تستدرك العصائب الثابتة على الحق، وتفيء إليها الفصائل التي كادت تزيغ قلوبها، والفئات التي ولت الدبر.. فإن الموقد العراقي الذي استعر بالأمس سيبدأ بالخمود اليوم، وإن جذوة الجهاد التي بدأت تخبو اليوم تحت الرماد صائرة إلى مصير الجمر المكتوم عن الهواء، رماداً اشتدت به الريح في يوم عاصف! حتى غدا العدو اليوم طامعاً بتحويل موقدنا الكبير إلى حوض ماء بارد يورد عليه قطعان خنازيره، ليوردهم عطشى ويصدرهم وقد رووا، ويحول البقية الباقية من العراقيين إلى حماة للخنازير من الأسود العراقية القليلة الصابرة على أمر الله.

لا.. ليس هذا أدباً يكتب، ولا تخذيلاً للهمم، إنما هي خناجر تطعن قلب صاحب القلم قبل أن تطرق سمع القارئ فتسبب له بعض إزعاج!

كيف تحول الخطاب الأمريكي الرسمي من خطاب متشائم - كما كان من قبل - إلى خطاب مغرق في التفاؤل، متبجح أمام الملأ..؟!

كيف تساقطت بعض العشائر في العمالة وهم يشعرون، أو لا يشعرون هذا وقد كانوا رصيداً وركناً متيناً للمجاهدين؟

كيف تساقطت بعض الفصائل الجهادية في تفاوضات غير شرعية مع المغتصبين..؟

إن غلوَّ بعض الفصائل وانحرافها عن المنهج الحق لا يبرر أبداً أبداً هذا السقوط.

فمن يوقف هذا الانهيار، بل هذا الاندحار..؟

لقد آن لهذا التخبط أن يتوقف، ولن يتوقف ما لم يبصر أهل الميدان

الحقيقة كي لا يلدغوا المرة تِلو المرة، ليلدغوا بعدها - لا قدر الله - اللدغة الكبرى!

ولذا فقد أصبحت الحاجة ملحَّة اليوم في غاية الإلحاح إلى كتابة واضحة شاملة تضع النقاط المبعثرة على حروف الواقع المنتشرة، بأمانة الشرع، وتقوى العالم، وشجاعة المجاهد، فبغير اتضاح الواقع لن نتمكن من تقدير المستقبل جيداً، كما لن نتمكن من معرفة الحكم الصحيح.. وأول خطوة هي تكوين التصور الصحيح، فإن الكتابة الواضحة المؤسَّسة المؤصَّلة تقي القارئ من نقل آثار تخبُّطات الماضي إلى قرارات المستقبل.

تلك الكتابة التي تجعلك تكتشف العدو ومن يخدم العدو، لا بطريق التلقين للقارئ في كل مرة، وإنما بطريق التقعيد الصحيح، الذي يكوِّن البصيرة لدى القارئ المجاهد، ويمنع من تكرر استغفاله، أو السير نحو هاوية جديدة.

ولن تبلغ الإجابة المأمول بها ما لم تجمع ما بين التأصيل الشرعي الصحيح والتنزيل المناسب على الواقع، فلننظر في هذين الأمرين، وآمل أن يتمكن كل قارئ من استكمال قراءة هذا البحث حتى آخر كلمة، مفرغاً قلبه من الهوى، مبرئاً قراره من التبعية المطلقة إلا للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

ثالثاً: ولنقرر وجوب التنزيل الصحيح:

لن يبلغ الباحث معرفة حكم الله تعالى في معضلة من المعضلات إذا لم يعرف كيف ينزل حكم الله تعالى على تلك الواقعة، كما يعرف حكم الله تعالى..!

وإنه لأمر عظيم.. مقدار عظمته بمقدار تبعاته.. فإن البحث المطلوب للدراسات الأكاديمية غير البحث المطلوب للأعمال الميدانية الجهادية..!

وإن البحث الذي يصبح ضمان التفوق فيه عائداً للبحث في المكتبة فحسب غير البحث الذي ضمان التفوق فيه هو التوفيق بين المكتبة الإسلامية والكتيبة العسكرية معاً..!

أين بحث غاية الإنسان فيه نفسه ومستقبله الدراسي من بحث غايته مستقبل الملايين بل مستقبل الدنيا!

أين بحث إن فشل صاحبه فيه أعاده ثانية، من بحث ليس للمتضررين فيه عند الفشل حدٌّ ولا عدٌّ ولا امتداد..

وليس هذا إعراضاً عن البحث المضني في المكتبة لبلوغ الحكم الشرعي فهو الأصل، ولكن لن يكون الحكم الشرعي صحيحاً مهما قرأ صاحبه إذا هو لم يفتح صفحة واقعه جيداً.. ألا يُلْزم من أراد أن يصبح عالماً في موضوع آية أن يعرف سبب نزولها، ويلزم بمعرفة سبب ورود الحديث..؟

ألم يحفظ الله أسباب نزول كثير من الآيات في الآيات نفسها، ويذكرها معها..؟

إذاً فما أعظم أهمية معرفة واقع السؤال المذكور، وأثر الجواب على أرض الواقع، وعلى المستقبل البعيد.

فكم يحتاج المرء من علم وتقوى وورع وتجرد، حتى يكون قضاؤه فاصلاً وحكمه فارقاً بين الحق والباطل؟ بل كم يحتاج من إغاثة الله له حتى يبلغه الله حكم الحق؟ فيا حيُّ يا قيوم برحمتك نستغيث.

الفصل الثاني

ما بين مفاوضات الحديبية ومفاوضات الصليبية..!

كلما تجدد ما يسمى بالهدنة مع الدولة اليهودية المسخ أو مع الصليبيين، أطلت على السطح أعناق زندقة أو أعناق جهالة، تقيس مهادنتهم على التفاوض في صلح الحديبية، ومن ثم تقيس جواز الهدنة هنا على الهدنة هناك..!

وهذه مسألة خطيرة يجب أن تحسم في أول البحث، وإنها لحريَّة بكتاب مستقل يقطع القياس عليها من أساسه، لكننا في هذا المختصر نودُّ أن نبين وجوه الفارق ما بين هدنة النبي ﷺ مع المشركين، وهدنة بعض الفصائل مع الصليبيين لئلا يلتبس الأمر على ضعيف الفهم، أو ضعيف الهمة قليل الصبر قصير النظر..

ووالله إننا نقدم بها نصرة لرسول الله ﷺ والذب عنه أولاً، ونصرة لإخواننا ثانياً.. فأيَّ إساءة لرسول الله ﷺ مثل أن يظن به ظناً أنه هادن كما هادنت بعض الفصائل كما سيتبين لنا ذلك؟

أو أنَّ لمن هادن مع الصليبيين في رسول الله ﷺ أسوة حسنة!

وفيها نصرة لإخواننا.. فهي صيحة الحق وصريخ النجدة على الأسود قبل أن تدخل قفص الصياد..!

وبعدها فمن شاء أن يدخل فليدخل ولكن دون أن يتألى على الله أو

أن ينسبه لرسول الله ﷺ! ومن شاء أن يدخل فليدخل لوحده ولا يَدْعُ غيره فيكون وريثاً لقوم أنزل الله أكثر سورة التوبة فيهم فضحاً لهم ولعناً من رب العالمين وبراءة من الله ورسوله.

نعم إن الأمور تتشابه على الناظر لأول وهلة .. ولكن من فضل الله أن لا يترك المؤمنين المتبصرين بنور الكتاب والسنة في تشابه.. فالدجال أعظم الفتن وأخطرها، لكن لا يكشفه أحد إلا من علم الكتاب والسنة وقارن بين ما ورد في السنة وبين ما يرى بعينيه.. فيصبح عندها مزيد تلبيسه وكيده وآياته التي جاء بها مزيداً في كشف حقيقته وزيادة اليقين بأنه الدجال.. بينما الآخرون من أهل الأرض يزدادون غيَّاً على غيهم.

فانظروا أيُّها الإخوة في الفروقات ولا تحيدُنَّ عن تطبيق حكم الله عزَّ وجلَّ وحكم رسوله ﷺ مهما ازدادت الفتن، وضاقت الأرض بما رحبت!

الفارق الأول:

أن النبي ﷺ قد أعلن أنه لا يريد الحرب ولا يسعى إليها، بل خرج محرماً سائقاً للهدي معظماً لشعائر الله، فلم يأخذ معه سلاحاً إلا السيوف المغمدة[1].

بينما أنتم في حالة حرب وقتال فعلي وأرضكم محتلة، ومقصود التفاوض هو إلقاء السلاح وإقرارهم على البقاء في أرضنا وشتان بين الاثنين شتان..!

الفارق الثاني:

في قبول المشركين للصلح قبول منهم لدخول النبي ﷺ الحصن الأخير لهم وهو مكة في السنة القادمة.

---

(١) فتح الباري، كتاب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢٧٣١-٢٧٣٢).

بينما في قبول هؤلاء المفاوضين للهدنة إقرار ضمني للمغتصبين في أرض العراق، وتمكينهم من ثرواته.. وشتان بين الاثنين..! وأرجو أن لا يعترض معترض بأن اتفاق الصلح كان بدخول النبي ﷺ لها بالسيوف المغمدة وليس بالأسلحة؟ وهذا إن قيل فهو من الضعف الكبير ليس في الحجة العلمية فحسب، ولكن ضعف النفوس التي أصبحت تتلمس القش المتناثر وسط سيل الضغوطات الهادر!

وإلَّا هل يوجد كاتب واحد في التاريخ لم يعتبر الصلح نصراً للنبي ﷺ؟ كيف وقد سمَّاه الله فتحاً مبيناً كما قال سبحانه، ثم أكان يمكن لقريش وهي في عزها أن توافق على تنازل مثل هذا؟

وهل كان المطلوب أن يكون الاتفاق هو أن يدخل بكل الأسلحة؟ وما فائدة أن يدخلها بكل الأسلحة ثم يخرج منها بأسلحته؟

ألا يكفي أن يدخلها رغماً عن أنوفهم؟ ومتى كان لقريش أن تترك مكة كلها كارهة مكرهة وتخرج؟ أليس في هذا إشارة بليغة إلى أن قريشاً التي فتحت مكة لمحمد ﷺ وصحبه بالسيوف في أغمادها أعجز من أن تمنعه إذا جاء بخميسه وعتاده؟

ومتى أصبحت قريش تنظر لعدوها يطوف بالبيت الذي هو مركز الصراع ومحوره كله وهي مكبلة بالشروط لا تستطيع منعه؟

هذا وهو يطوف مظهراً القوة ويأمر أصحابه أن يرملوا في إحرامهم من غير سيوف.. إرعاباً لعدوهم! ثم أترى النبي ﷺ قد دخلها وحده أو مع بعض من صحبه.. أم أنه دخلها بجنده وإن لم يكونوا بكامل العتاد؟

الفارق الثالث:

زعزع النبي ﷺ بهذا الصلح التحالف الواقع ما بين قريش وحلفائها.. لهذا: حاولت قريش إيجاد المخرج مما أوقعها فيه رسول الله ﷺ، فأخذت

تبعث إليه الرسل من حلفائها، فبعثت (**الحليس بن علقمة**) سيد الأحابيش، وقد كانت هذه القبيلة في حلف مع قريش، وهم معروفون بشدة تعظيمهم للبيت، ولهذا: [**فقد عمد رسول الله ﷺ حينما علم بقدومه إلى ممارسة سياسة إضعاف ارتباطه بقريش، وذلك بهزِّ مشاعر التأله لديه؛ فقد قال ﷺ حينما رآه:**

«إنّ هذا من قوم يتألهون وفي لفظ: يعظمون الهدي، ابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه»[1].

فلما رأى "الحليس" الهدي يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، واستقبله الناس يلبون قد شعثوا، صاح وقال: «سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت، وأن يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع "ابن عبد المطلب"!! هلكت قريش ورب الكعبة، إنما القوم أتوا عُمَّاراً»[2]**، وبمجرد أن رأى هذا المشهد رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، ورجع إلى قريش يدعوها إلى السماح للمسلمين بالاعتمار ومهدداً لها بالخروج من الحلف معها، لقد كان لهذا الموقف تأثير في زعزعة التحالف بين قريش والأحابيش]**[3].

هكذا زعزعهم النبي ﷺ، بينما ثمرة تفاوض بعض الفصائل هو

---

(١) فتح الباري: ج٥ ص ٤٠٣، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الدكتور مهدي رزق الله أحمد، ص ٤٨٨، والسيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري، ج٢ ص٤٤١. [والحديث في مسند أحمد (١٨٩١٠) وحسنه شعيب].

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة البيان العدد ٨٨ من موضوع دراسات شرعية، مفاهيم ودروس من صلح الحديبية، د.محمد بن عبد الله الشباني.

زعزعة المجاهدين وشقُّ صفوفهم، وها قد بدأت نذر الشقاق بالظهور.. والبون شاسع بين الاثنين.

ولعلَّ البعض يزعم بأن المجاهدين لا يستطيعون إيقاف الرافضة إلَّا بهذا التفاوض! وها هي بغداد قد ضعفت فيها شوكة المجاهدين.. ونحو ذلك من أعذار!

وهذه هي والله وصفة الصياد بعينها.. وهل عرض العدو عرضه هذا إلا بعد تحققه من مفعول عرضه ووصفته!

وهل يشك عراقي واحد أن كل ما حققته المليشيات لم يتم إلا بغطاء أمريكي، وحماية أمريكية؟

وأن هؤلاء أعظم الناس خوفاً إذا كشف الغطاء الأمريكي عنهم.. وهل هذا الاتفاق إلَّا دليل ذلك؟

ثم أيَّة غفلة هذه التي يتصور صاحبها أنه لا اتفاق ما بين الأمريكيين والإيرانيين على العراق؟ وهل أدمغ لقائل هذا القول من جواب أبلغ من أن ينظر للحكومة المعينة من قِبل الأمريكيين؟ أليست حكومة إيرانية حضانة وتربية ومعتقداً وولاءً وتوجيهاً وتوجهاً؟

وهل إيران التي أظهرت معارضة كبيرة في احتلال أفغانستان كانت وفيَّة لمعارضتها تلك؟ وهل هؤلاء أو هؤلاء وفَّوا يوماً من الأيام في عهد من العهود؟ أي حسن ظن هذا بهؤلاء وهؤلاء حين نظن أننا يمكن أن نشق صفهم بهذه الاتفاقات.. فما أشبههم بالذين قال الله تعالى فيهم:

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

ثم يا ترى.. كيف يصور هؤلاء هذه المفاوضات بأنها النصر المحقق؟

وها هي بغداد قد قطعت وكأنَّ بغداد قد قطعت بترك المفاوضات، أو بالتأخر في الموافقة على الهدنة!

ولا أحسب هذا إلَّا علامة من علامات الساعة! ونكوصاً على العقب، وحوراً بعد الكور.. إذ كيف صوروا أنَّ الإنقاذ في الهدنة، وأن الهلاك في الجهاد؟

كيف أصبح ترك التعجيل في الهدنة سبباً في تعجيل التمكن الأمريكي المليشياتي في بغداد..؟!

أي لو أننا تركنا الجهاد منذ زمن.. وهادناهم آنذاك لكان حالنا الآن أحسن!

فبالله عليكم أيُّها المهادنون هل أنتم ناصحون للفلسطينيين بهذه النصيحة مصطفين في صف العالم النصراني وأذياله؟

وهل أنتم معاتبون للفلسطينيين على ترك المفاوضات والأخذ بالجهاد والعمليات الاستشهادية يوم كانت تزلزل إسرائيل، وقادة إسرائيل يوسطون العالم كله ليبادروا في إيقاف تلك العمليات المباركة آنذاك؟

وإني لأخشى عليكم أن تسيروا على خطى بو رقيبة ذاك الذي قدم المقترح بالمفاوضات منذ عام **١٩٦٣**م حتى قال قائلهم: **لو أخذنا باقتراح بو رقيبة لكنا اليوم أحسن حالاً**.. وها هو الجواب كم قطعت إسرائيل بعد الدخول معها في مفاوضات في سنوات قليلة؟

انظروا أيُّها المهادنون إلى العمق العقدي والتاريخي ما بين اليهود صنَّاع هذا الاحتلال في البيت الأبيض وما بين آيات قم.. ثم لكم بعدها أن تحكموا بما شئتم..! إن العمق ما بين هؤلاء وهؤلاء أبعد من أن تدركوه.. اقرؤوا "الكافي للكليني" وانظروا البعد الذي تسعى له تلك الآيات والحاخامات.

الفارق الرابع:

[إن الصلح لم يكن مانعاً أو عائقاً لحركة الرسول ﷺ، فلم يرد في الصلح الحد من حرية حركة الرسول ﷺ، بل إن أهم نقطة في هذا الصلح **هو توفير المجال لرسول الله ﷺ في الحركة في الجزيرة العربية، وتحييد العدو الرئيس وهو قريش**، ولهذا: فقد ذُكر أن عقد الاتفاقية هو هدنة ومهادنة يُقصد منه وقف الحرب عشر سنين، يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض، وعدم إظهار العداء أو ما يعرف في الوقت الحاضر وقف الحملات الإعلامية؛ وهذا الشرط هو محور وغاية الصلح؛ فإن منع إظهار العداء يسمح للمسلمين بالحركة والدعوة للأفكار التي يحاربون من أجلها، كما أن إيقاف الحرب بين قريش وبين الرسول ﷺ سوف يهيئ الظروف للمسلمين للانتشار مع تحييد قوة قريش ونفوذها المعنوي من التأثير في بقية العرب.

إن من المفارقات التاريخية العجيبة في هذا العصر أن يتبع اليهود المقاصد نفسها التي اتبعها الرسول ﷺ مع قريش، وذلك حينما استطاعوا عند توقيع معاهدة كامب ديفيد إخراج مصر (**القوة العربية الكبيرة**) من الصراع واستخدامها أداة لتفتيت القوة العربية والإسلامية، ثم استخدامها أداة لتنفيذ وتحقيق المصالح اليهودية، وذلك باستغلال هذه المعاهدة لإلغاء أو تخفيف الحصار السياسي والاقتصادي والإعلامي مع بقية العالم، وقد تمكنوا من الحصول على الاعتراف من قِبَل كثير من الدول وتنمية علاقاتهم الاقتصادية معها بسبب تلك المعاهدة، بل لقد حققت معاهدة كامب ديفيد غايتها باعتراف الزعامة الفلسطينية بشرعية دولة اليهود، ثم سقطت آخر أوراق التوت عندما وقَّعت منظمة التحرير الفلسطينية قبولها بما عرف بالحكم الذاتي الجزئي! لغزة وأريحا.

وقد كان من النتائج المباشرة لصلح الحديبية أن تفرغ رسول الله ﷺ لحلفاء قريش في غزوة الخندق (اليهود)، فبعد عودة الرسول ﷺ من الحديبية بشهر أو أقل استنفر من شهد الحديبية، ومنع من لم يشهدها من الغزو معه، فالله الذي يعلم خفايا النفوس منح أولئك الذين اختاروا الآخرة على الدنيا حسن ثواب الدنيا والآخرة، وفي هذا عبرة أن من يتجرد في عطائه لله قد يعطيه الله ما يشتهي في دنياه قبل آخرته بجانب ما يدخره له في آخرته.

لقد أوضح الرسول ﷺ النتائج العملية للصلح مع مشركي قريش، وأن هذا الصلح كان فتحاً للمسلمين بعد أن توهم بعض المسلمين أن صلح الحديبية لم يكن فتحاً لعدم تحقق الغاية المعلنة وهي الطواف بالكعبة وذبح الهدي في مكة، ثم نزلت سورة الفتح وهم في طريق العودة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

وقال عنها الرسول ﷺ: «**لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهيَ أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس، وقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح**»[1]. فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح ورضا، وطابت نفوسهم بذلك.

إن مما يحزُّ في النفس أن واقع ما أشار إليه الرسول ﷺ من الفتح للمسلمين هو ما حصل لليهود في هذا العصر، فالعرب المسلمون هم الذين يسعون إلى الصلح خوفاً من الحرب، ويعلنون في وسائل إعلامهم

(١) أخرجه أبو داود: سنن أبي داود مع معالم السنن ج٣، ص ١٧٤، والإمام أحمد: ٣/ ٤٢٠، وعند مسلم أن الرجل الذي سأل الرسول ﷺ هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؛ مسلم ح/ ١٧٨٥، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية.

تلك الخدعة الكبرى دعوى الأرض مقابل السلام! هذه الكلمة التي تحمل معانٍ كثيرة، ومن تلك المعاني إعطاء الأرض مقابل الأمان، أي: التسليم لليهود بفلسطين أو بجزء منها مقابل أن يترك اليهودُ العربَ في أمان!؛ يأكلون كما تأكل الأنعام بعد أن هزموا في جميع معاركهم التي أُشعلت مع اليهود مباشرة أو غير مباشرة بقيادة رجال يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة][1].

وهل سيكون المهادنون العراقيون أحسن حالاً من الفلسطينيين؟

وهل سيتمكنون من اختراق صف أمريكا أم أن أمريكا سوف تخترقهم؟

هل سيدخلون أرض أمريكا أم أن أمريكا ستتمكن من أرضهم؟

هل، وهل، وهل؟

فأين هذه من هذه؟

الفارق الخامس:

"إنَّ صلح الرسول ﷺ لم يمنع المسلمين من التحرك العسكري وبسط النفوذ، بل إن الصلح كان وسيلة للقضاء على التحالفات السابقة مع قريش حتى يمكن إضعاف قدرة قريش على المقاومة، ولهذا: فإنه في أقل من شهر من عودة الرسول ﷺ إلى المدينة شنَّ حربه على اليهود في خيبر (**حلفاء قريش في معركة الخندق**)، وقد كانت نتيجة معركته مع اليهود أن حقق الرسول ﷺ السيطرة الكاملة على المناطق الشمالية للمدينة، وبالتالي: حقق الأمان للمدينة"[2].

---

(١) مفاهيم ودروس من صلح الحديبية، للدكتور محمد بن عبد الله الشباني.

(٢) المصدر السابق.

أما هذه المفاوضات فغايتها تحقيق الأمان للأمريكيين على أرض العراق المحتلة.. فأين هذه من هذه؟

ويا للأسف فقد اعترض البعض بأن قريشاً كانت تقصد من تحالفها أمن مكة وأمن تجارتها وكان للنبي ﷺ مقاصد أخرى كذلك وهكذا الأمر في كل صلح. وأمريكا ليس لها إلَّا تحقيق أمنها في العراق! هكذا قالوا وليتهم ما قالوا! إذ إنهم بهذا الاستشهاد إنما يقتدون بقريش لا برسول الله ﷺ!

وإلَّا فهل هذا الاستدلال يعني إلَّا شيئاً واحداً هو أن النبي ﷺ أقرهم على مطلبهم هذا! وإلا فإنه لو لم يقرهم عليه لم يكن لهم فيه أية حجة على الإطلاق!

ومن ثم قالوا: إنَّ الأمريكيين كذلك يريدون الأمن في العراق.. ونحن المفاوضون نهبهم هذا الأمن كما وهب رسول الله ﷺ قريشاً!

حاشا لرسول الله ﷺ أن يقرهم على أمنهم.. حاشاه أن يظهر للمسلمين شيئاً ويضمر لهم غير ذلك، لا والله لا نرضاها لأشجع الناس وأعظم الناس ﷺ..

أيُّها المهادنون فلتتقوا الله تعالى فإنه ما من استشهاد بصلح الحديبية من قبلكم إلا وفيه تنقيص من ثمراته واستنقاص لحكمة رسول الله ﷺ تبريراً لتفاوضكم، وإن لم تقصدوه مع أنّ الله عزَّ وجلَّ يسميه الفتح المبين.

الفارق السادس:

[إن صلح الحديبية لم يقيد الأمة بشن الحرب على قريش من أولئك المستضعفين الذين كانت قريش تحول دون إظهارهم للإسلام؛ فقد كان من شروط الصلح أن المسلمين يردون من قدم عليهم مسلماً ولا ترد قريش من

جاءها مرتدًّا، وقد كان تعليل رسول الله ﷺ بقبول هذا الشرط: أن من ذهب منا إليهم فأبعده الله، وليس منا بل هو أولى بهم، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، فلم يكن هذا الشرط مانعاً للمسلمين من البحث عن مخرج، وبالتالي منع القوى المعارضة لهذا الشرط من نقضه، فقد بدأت المقاومة لهذا الشرط حينما قدم أبو بصير إلى المدينة هارباً من قريش، ووفق شروط الصلح رده الرسول ﷺ إلى قريش، لكنه استخلص نفسه منهم بقتل أحد الحارسين له خلال أخذهم له إلى مكة، وكوَّن مجموعة أخذت تقطع طرق عير قريش، بل إنَّ رسول الله ﷺ حينما استخلص أبو بصير نفسه منهم وخرج من المدينة بموجب توجيه رسول الله ﷺ لما قال تلك العبارة المشجعة: **ويل أمه! مسعر حرب لو كان له أحد**(١).

وهي كناية عن قوة هذا الرجل وإشعار للمسلمين بضرورة مساعدته واللحاق به، مما اضطر قريشاً إلى الطلب من الرسول ﷺ إلغاء هذا الشرط.

أما الصلح الحالي؛ فإن من أهم شروطه العمل على تأمين وتحقيق الأمان للصليبيين الغزاة ومحاربة كل من يسعى إلى حرب اليهود والنصارى، وبالأخص من يسعى إلى إعلان الجهاد ومحاربتهم](٢).. وشتَّان بين الاثنين شتَّان!

---

(١) البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ح/ ٢٧٣١، ٢٧٣٢ وانظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٤٩١، ٤٩٦، والسيرة النبوية الصحيحة ج٢، ص٤٥١، ٤٥٢.

(٢) مفاهيم ودروس من صلح الحديبية. للدكتور محمد بن عبد الله الشباني.

الفارق السابع:

لقد تحقق صدق ما أخبر به النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب، تحقق في صلح الحديبية، فقد أخبر النبي ﷺ بتحول كفة المعركة لصالح المسلمين فقال بعد الخندق: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم**»[1].

بينما نحن في العراق تنعكس المعادلة إلى الضد، إذ إننا بناءً على المهادنة لا نغزوهم ولا نسير إليهم، بل هم يسيرون إلينا آمنين، وشتَّان بين الاثنين شتَّان.

الفارق الثامن:

إنَّ الذي عقد الصلح هو النبي ﷺ، وقد خفيت ثماره على عمر الفاروق رضي الله عنه الرجل المُحدَّث في هذه الأمة.. فكيف يمكن أن يتبصر في هذه المدلهمة من لا يساوي شعرة في بدن الفاروق رضي الله عنه..؟!

يقول عمر رضي الله عنه: «**ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيراً**»[2].

يقول سهل بن حنيف: «**اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل (الحديبية) ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت والله ورسوله أعلم**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١١٠)، وأحمد (١٨٣٠٨).

(٢) رواه أحمد (١٨٩١٠) وحسّنه شعيب الأرناؤوط.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨١)، ومسلم (١٧٨٥) (٩٥)، وأحمد (١٥٩٧٤)، والحميدي (٤٠٤).

الفارق التاسع:

كان من ثمرات صلح الحديبية أن وجد المستضعفون لهم مخرجاً في الجبال يقاتلون فيه أهل الشرك ويرغمون أنوفهم، وقد قال النبي ﷺ لأبي جندل: «**يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً**»(1).

وقال لأبي بصير: «**ويل أمه! مِسْعَرَ حرب لو كان له أحد**»(2).

وكان هؤلاء قاصمة ظهر المشركين.

بينما سيكون من أكبر ثمرات المفاوضات العراقية الصليبية إطفاء جذوة الجهاد شيئاً فشيئاً، والقضاء على المجاهدين العظماء شيئاً فشيئاً.. فضلاً عن المستضعفين والضعفاء فشتان بين الاثنين شتَّان!

الفارق العاشر:

كان من ثمرات صلح الحديبية نزول رضوان الله على الذين بايعوا النبي ﷺ على قتال قريش حتى الموت، وذلك لما أشيع أن عثمان رضي الله عنه قد قتل، وما تخلف إلا منافق وهو "**الجدُّ بن قيس**"، وفي «صحيح البخاري»: قال يزيد بن أبي عبيد: قلت لسلمة ابن الأكوع: "**على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت**"(3). بينما ثمرة هذه المهادنة هي البيعة على ترك الجهاد في سبيل الله، وما يتخلف

---

(1) أخرجه أحمد (١٨٩١٠)، والبيهقي (٥/ ٢١٥). وحسنه شعيب.

(2) أخرجه البخاري (٢٧٣١)، وأحمد (١٨٩٢٨)، وأبو داود (٢٧٦٥)، والنسائي (٥/ ١٦٩).

(3) أخرجه البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠)، وأحمد (١٦٥٠٩)، والترمذي (١٥٩٢) والنسائي (٧/ ١٤١).

عن هذه البيعة إلَّا المجاهدون الصابرون.. وشتَّان بين الاثنين شتَّان.!

ولو أننا أردنا أن نصل بالفروقات إلى أضعاف هذا العدد بكثير، فليس في ذلك صعوبة ولكن في هذا القدر قيام حجة بالغة، والله أعلم.



الفَصْلُ الثَّالِثُ

أقوال الفقهاء في الهدنة مع الغزاة..!

اختلف الفقهاء في جواز الهدنة مع الأعداء المحاربين للمسلمين، لكن خلافهم كان في مسائل يسيرة، فإذا عرفنا المسائل التي اتفق الفقهاء على بطلان الهدنة فيها، تبين لنا خطورة ما يقدم عليه هؤلاء المهادنون.

الحالة الأولى:

إذا اغتصب العدو أرضاً للمسلمين ولو كانت شبراً واحداً، سقطت كل الخيارات إلَّا خروجهم أو القتال، وهو عندها فرض عين.

وإليك نصوص المذاهب الأربعة التي تتفق على هذه المسألة:

أولاً: فقهاء الحنفية:

قال ابن عابدين: «**وعبارة الدرر وفرض عين إن هجموا على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرض عين على من قرب منهم وهم يقدرون على الجهاد. ونقل صاحب النهاية عن الذخيرة أن الجهاد إذا جاء النفير إنما يصير فرض عين على من يقرب من العدو، فأما من وراءهم يبعد من العدو فهو فرض كفاية عليهم حتى يسعهم تركه إذا لم يحتج إليهم فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان يقرب من العدو عن المقاومة مع العدو، أو لم يعجزوا عنها لكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا فإنه يفترض على من يليهم فرض**

عين كالصلاة والصوم ولا يسعهم تركه ثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدريج»[1].

وقال الجصاص الحنفي: «ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم»[2].

ثانياً: فقهاء المالكية:

قال القرطبي في تفسيره: «إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار.. وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً، شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن منهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم»[3].

وقال ابن المناصف المالكي:

[وأما الحالة الثانية حيث يتعين فرض الجهاد فهو إذا أظلَّ العدو بلداً

(١) حاشية ابن عابدين ٤/ ١٢٤.
(٢) أحكام القرآن ٤/ ٣١٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٥١.

أو جانباً من ثغور المسلمين مقاتلاً لهم فيتعين فرض الجهاد حينئذ على كل واحد ممن هنالك من المسلمين في خاصته وعلى قدر طاقته إلى أن تقع الكفاية ويحصل الاستقلال بقتال العدو ودفعه، فإن قصَّر عدد من هنالك أو قوتهم عن دفاعهم وجب كذلك على من صاقبهم وقرب منهم من المسلمين إعانتهم والنفير إليهم، ثم كذلك أبداً إن غارَّهم العدو حتى يعمَّ الفرض جميع المسلمين أو يقع الاستغناء من دون ذلك بمقاومتهم ودفعهم. والدليل على صحة ذلك قوله تعالى:

﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ [المائدة: ٢].

وقوله تعالى:

﴿... وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

فمن ترك دفع كافر عن مؤمن تثاقلاً من غير عذر يسقط به عنه القيام فقد ترك المعاونة على البر والتقوى، وجعل للكافرين سبيلاً على المؤمنين، وقد نفى الله تعالى ذلك أن يكون من الشرع، ففعل ذلك معصية وتعد بحدود الله تعالى. خرّج أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم»[1] وذلك مما لا يعرف فيه خلاف][2].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٩٢)، وأبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥) والبغوي (٢٥٣٢). وصححه الألباني وشعيب.

(٢) الإنجاد في أبواب الجهاد ١/ ٤٤.

ونحو هذا قال الدسوقي في «حاشيته»[١].

ثالثاً: فقهاء الشافعية:

قال النووي: «**قال أصحابنا: الجهاد اليوم فرض كفاية إلا أن ينزل الكفَّار ببلد المسلمين فيتعين عليهم الجهاد، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية وجب على من يليهم تتميم الكفاية**»[٢].

وقال الرملي: «**فإن دخلوا بلدة لنا وصار بيننا وبينهم دون مسافة القصر فيلزم أهلها الدفع حتى من لا جهاد عليهم من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة**»[٣].

رابعاً: فقهاء الحنابلة:

قال الخرقي: «**وواجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا المقلُّ منهم والمكثر**»[٤] يعني الغني والفقير.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: [**إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات، لكن هل يجب على جميع أهل المكان النفير إذا نفر إليه الكفاية؟ كلام أحمد فيه مختلف، وقتال الدفع مثل أن يكون العدو كثيراً لا طاقة للمسلمين به، لكن يُخاف إن انصرفوا**

---

(١) حاشية الدسوقي ٢/ ١٧٤ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٦٣ (المطبوع على هامش القسطلاني).

(٣) نهاية المحتاج ٨/ ٥٨.

(٤) المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٨٩.

عن عدوهم عطف العدو على من يخلِّفون من المسلمين، فهنا قد صرَّح أصحابنا بأنه يجب أن يبذلوا مهجهم ومهج من يخاف عليهم في الدفع حتى يَسلموا، ونظيرها أن يهجم العدو على بلاد المسلمين، وتكون المقاتلة أقلَّ من النصف، فإن انصرفوا استولوا على الحريم، فهذا وأمثاله قتال دفع لا قتال طلب لا يجوز الانصراف فيه بحال، ووقعة أُحد من هذا الباب، والواجب أن يعتبر في أُمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون أهل الدنيا الذين يغيب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا»[1].

ويقول رحمه الله: «فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال تعالى:

﴿... وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ...﴾ [الأنفال: ٧٢].

وكما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداءً لطلب العدو الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج بل ذم الذين يستأذنون النبي ﷺ: ﴿... يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩/١٩٦.

فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس وهو قتال اضطرار وذلك قتال اختيار للزيادة في الدين وإعلانه ولإرهاب العدو»[1].

وهذا الذي نقلناه عن الأئمة هو ما يسميه بعض العلماء بـ (جهاد الدفع).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم»**[2].

ويقول ابن القيِّم رحمه الله: [**فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعمُّ وجوباً، ولهذا يتعيَّن على كل أحد أن يقوم، ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهكذا كجهاد المسلمين يوم أُحد والخندق.**

ولا يُشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضِعْفَي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أُحد والخندق أضعاف المسلمين، فكان الجهاد واجباً عليهم؛ لأنه حينئذٍ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع، وهل تباح في جهاد الطلب إذا خاف فوت العدو ولم يخف كرَّته؟ فيه قولان للعلماء، هما روايتان عن الإمام أحمد.

ومعلوم أن الجهاد الذي يكون فيه الإنسان طالباً مطلوباً أوجب من هذا الجهاد الذي هو فيه طالب لا مطلوب، والنفوس فيه أرغب من

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٥٨.

(٢) الفتاوى الكبرى ٤/ ٦٠٨.

الوجهين. وأما جهاد الطلب الخالص؛ فلا يرغب فيه إلا أحد رجلين: إما عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، وإما راغب في المغنم والسبي.

فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعاً وعقلاً، وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين.

وأما الجهاد الذي يكون فيه طالباً مطلوباً؛ فهذا يقصده خيار الناس؛ لإعلاء كلمة الله ودينه، ويقصده أوساطهم للدفع ولمحبة الظفر](١).

ومن خلال هذه النصوص يتضح جليًّا أنه لا خيار لنا إلا أن نقاتل ونطهر بلدنا من الصليبيين وأذنابهم.

يقول الدكتور عبد الله عزام رحمه الله:

"لأن أرض الإسلام ليست لأحد فلا يحق لأحد أن يفاوض عليها، وهذا الشرط يبطل العقد، لأن الأرض لله ثم للإسلام، فلا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك غيره، ولا بيع لابن آدم فيما لا يملك، ولذا بالنسبة للروس فلا يجوز التفاوض معهم حتى ينسحبوا من كل شبر من أراضي أفغانستان، ولا مع اليهود أبداً في فلسطين"(٢).

وبناءً على ما تقدم: لا يجوز التفاوض مع الأمريكيين حتى ينسحبوا من كل شبر من أراضي العراق.

وما الفارق ما بين حرمة المهادنة في فلسطين وحرمتها في العراق؟

وما الفارق بين أن يكون المغتصب نصرانياً أو يهودياً؟

---

(١) الفروسية لابن القيِّم ١٨٧.

(٢) الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان.

أليس اليهود هم من وراء اغتصاب العراق، ومن خلف حصون أمريكا يقاتلوننا؟

الحالة الثانية:

يرى جمهور الفقهاء بطلان الهدنة إذا كان فيها شرط فاسد، وقال الحنفية يبطل الشرط ويظل العقد صحيحاً.

«**ومن أمثلة الشروط الفاسدة: اشتراط إدخالهم الحرم المكي أو ردِّ النساء أو مهورهنَّ أو ردِّ سلاحهم، أو إعطائهم شيئاً من سلاحنا أو من آلات الحرب، أو اشتراط عدم فك أسرى المسلمين من أيديهم، أو ترك مال مسلم أو ذمي بأيديهم، أو اقتطاع جزء من أرض المسلمين، أو إظهار الخمور والخنازير في دار الإسلام، أو إنشاء قواعد عسكرية أو استراتيجية في بلادنا، فكل هذه الشروط لا يجوز الوفاء بها لأن في ذلك إهانة للمسلمين، والله تعالى يقول:**

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ. . .﴾ [محمد: ٣٥]،

ويقول الرسول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1]، ولأنه عقد على محرَّم فلم يجز الإقرار عليه. وأما اشتراط تسليم الرجال المسلمين ففيه خلاف بين الفقهاء فيرى أحمد وهو المعتمد عند المالكية أنه صحيح ويجب الوفاء به ويرى أبو حنيفة وبعض المالكية أنه شرط باطل لما فيه من تسلط غير المسلم على المسلم، وأما الشافعية فيجيزونه إذا كان

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) (١٨) بلفظ (من أحدث في أمرنا هذا ماليس فيه، فهو رد). وأخرجه البخاري في (خلف أفعال العباد) ص٤٣، وأحمد (٢٤٤٥٠)، وأبو داود (٤٦٠٦).

للشخص عشيرة تحميه في دار الحرب منعاً للفتنة»[1][2]. إلَّا إذا خشي المسلمون الاصطلام (**الاستئصال التام**) فيجوز كل ما منع مما ذكر[3].

وقد جاء في الحديث: لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن بن حنيفة بن بدر وإلى الحارث بن أبي عوف المزني - وهما قائدا غطفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، ولم تقع الشهادة، فلما أراد ذلك بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه ومما جاء في الحديث: «قد علمنا أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فهل ترون أن ندفع إليهم شيئاً من ثمار المدينة؟» قالوا: يا رسول الله إن كنت قلت عن رأي فرأيك متبع، كنا لا ندفع إليهم ثمرة إلَّا بشرى أو قِرى ونحن كفَّار وقد أعزَّنا الله بالإسلام، فسُرَّ النبي ﷺ بقولهم، وقد شعر الأنصار من هذا أن فيه إذلالاً لهم، ولذا جاء في بعض الروايات: أن سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة قالا: فإنا لا نرى أن نعطيهم إلا السيف[4].

يا أهل العراق يا أهل التمر:

الصحابة أبوا أن يفاوضوهم على بعض تمر المدينة، وأنتم تريدون إعطاءهم الأرض وما عليها في مقابل أن تؤمِّنوهم!

---

(١) انظر الفتاوى الهندية ٢/ ١٩٧، الحطاب ٣/ ٣٨٧، الخرشي ٣/ ١٧٤-١٧٥ نهاية المحتاج ٧/ ٢٣٦، بجيرمي المنهج ٤/ ٢٥٩، المغني والشرح الكبير ١٠/ ٥٢٤.

(٢) آثار الحرب في الفقه الإسلامي د. وهبة الزحيلي ص ٦٧٤.

(٣) ينظر الحاوي للماوردي ١٤/ ٣٥٥.

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٦/ ١٣٢، وعزاه إلى البزار والطبراني وقال: (ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات). وفي إسناده عثمان =

إذاً فالأرض لهم والأمان لهم!

لقد ربحت البيع يا بوش مع هؤلاء المهادنين!

«فرع»

اختلف الفقهاء في مشروعية المهادنة على مال يؤديه المسلمون للكفار قال ابن المناصف في كتابه النافع: «**الإنجاد في أبواب الجهاد**» [**في جواز ذلك خلاف**، روي عن الأوزاعي أنه قال: (**لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة وشغل من المسلمين عن حربهم من قتال عدوهم أو فتنة شملت المسلمين فإذا كان ذلك فلا بأس**). وروي نحو ذلك عن سعيد بن عبد العزيز وقال: فعله معاوية أيام صفين، وعبد الملك بن مروان لشغله بقتال ابن الزبير.

وقال الشافعي: «**لا خير في أن يعطيهم المسلمون شيئاً بحال على أن يكفوا عنهم لأن القتل للمسلمين شهادة، والإسلام أعزُّ من أن يعطى مشرك على أن يكف عنه، قال: إلا أن يُعطوا في تلك الحال شيئاً ليتخلصوا منهم لأنه من معاني الضرورات يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها أو يؤسر مسلم فلا يُخلى إلا بفدية فلا بأس؛ لأن رسول الله ﷺ فدى رجلين من المسلمين أسرهما العدو برجل من المشركين**»[1].

قال ابن المناصف:

والأرجح ما ذكره الشافعي أن ذلك لا يجوز لكل عذر من مضرة تتقى أو مصلحة ترتجى، فإن في إعطاء المال لأهل الكفر على أن يكفوا صغاراً على أهل الإسلام، وذلك لا يجوز أن يستجلب بمثله مصلحة أو يستدفع به

= ابن عثمان الغطفاني قال عنه الحافظ: صدوق ربما وهم. ورواه مرسلاً من طرق أخرى أبو عبيد في كتابه الأموال (٤٤٥) وابن سعد في الطبقات ٢/ ٦٩.

(١) انظر (الأم) ٤/ ١٩٩.

ما لا يستأصل من المضرة فإذا انتهى الأمر إلى خوف الاستئصال والاصطلام بإحاطة العدو وقوته وتحقق العجز عن مقاومته جاز في هذه الحال لأنه أيسر المكروهين والله أعلم][1].

الحالة الثالثة:

اتفق العلماء على عدم جواز أي تفاوض فيه تمكين لرؤوس الكفر من بلاد المسلمين؛ وعلة ذلك أن في تمكينهم تمكيناً للكفر.

فهل من تمكين لرؤوس الزندقة والباطنية في العراق أكبر من كفِّ أيدي المجاهدين عنهم، وحفظ أمن الطرق والمناطق لهم؟

وماذا يمكن للمجاهدين فعله لو جاء أئمة الكفر هؤلاء في زيارة لمناطقهم بحماية أمريكية إلَّا توفير الحماية لهم؟

ومن هذا الأمن يتمكن رؤوس الزندقة من استخراج قوانين فيها تكريس لإلغاء الكتاب والسنة، ومضادة أحكامهما، وعلمنة البلاد، واستعبادها.

وهل مقصد الجهاد إلَّا إلغاء سلطان هؤلاء وتوحيد الله تعالى في الأرض: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

الحالة الرابعة:

أن يكون في الصلح مصلحة للمسلمين، ولا يكون فيه ضرر لهم، وهذا ما يعبر عنه الشافعي وغيره بـ"**النظر للمسلمين**".

قال الشافعي رحمه الله تعالى: «**وإذا سأل قوم من المشركين مهادنةً، فللإمام مهادنتهم على النظر للمسلمين، رجاء أن يسلموا أو يعطوا الجزية**

(١) الإنجاد في أبواب الجهاد لابن المناصف المالكي (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

بلا مؤونة، وليس له مهادنتهم إذا لم يكن في ذلك نظر»[1]. وقال: «**وإن صالحهم الإمام على ما لا يجوز فالطاعة نقضه»**[2]. وقال الماوردي الشافعي: «**وإذا لم تَدْعُ إلى عقد المهادنة ضرورة لم يجز أن يهادنهم»**[3].

وقال ابن العربي المالكي: «**إذا كان المسلمون على عِزَّة، وفي قوة ومنعة، ومقانب**[4] **عديدة، وعدَّة شديدة:**

فلا صلح حتى تُطعن الخيلُ بالقنا وتُضرب بالبيضِ الرقاق الجماجمُ

وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يُجلب به، أو ضر يندفع بسببه؛ فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوا إذا دُعوا إليه»[5]. وقال ابن قدامة الحنبلي: «**ومعنى الهدنة: أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة، بعوض وبغير عوض. وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة، وذلك جائز، بدليل قول الله تعالى:**

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ...﴾ [الأنفال: ٦١].

وروى مروان ومسور بن مخرمة أن النبي ﷺ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية على وضع القتال عشر سنين، ولأنه قد يكون بالمسلمين ضعف فيهادنهم حتى يقوى المسلمون، ولا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين)[6].

---

(١) الأم ٤/٢٠١.

(٢) الأم ٨/٣٨٦.

(٣) الأحكام السلطانية ٥٥.

(٤) مقانب: جمع مقنب وهو جماعة الخيل والفرسان، يريد القوة والعدة.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي المالكي ٢/٤٢٦.

(٦) المغني ٩/٢٣٨.

وقال المرغيناني الحنفي: (وإذا رأى الإمام أن يصالح أهل الحرب أو فريقاً منهم وكان في ذلك مصلحة للمسلمين فلا بأس به لقوله تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ. . .﴾ [الأنفال: ٦١].

ووادع رسول الله ﷺ أهل مكة عام الحديبية على أن يضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ولأنَّ الموادعة جهاد معنى إذا كان خير للمسلمين، ولأنَّ المقصود وهو دفع الشر حاصل به، ولا يقتصر الحكم على المدة المروية لتعدي المعنى إلى ما زاد عليها بخلاف ما إذا لم يكن خير؛ لأنه ترك الجهاد صورة ومعنى)[1] .

ويقول الشيخ محمد بن شاكر الشريف في شرط الصلح: «**أن تكون على النظر لصالح المسلمين كأن تنزل بهم نازلة، أو أن المسلمين يرجون إسلام المشركين، أو أن المشركين يقبلون بإعطاء الجزية بلا مؤونة. أما الهدنة التي لا تكون على النظر لصالح المسلمين، بل يتحقق من خلالها مصالح المشركين: كرواج تجارتهم وتصدير سلعهم، ومنتجاتهم الصناعية، وغيرها إلى بلاد المسلمين، أو حصولهم على المواد الخام من بلاد المسلمين بأسعار رخصية. أو كان يترتب على ذلك تدخل الكفار في ثقافة الشعوب الإسلامية، والتأثير في مناهج التعليم فيغيرون منها، أو يحذفون ما فيها من النصوص الشرعية التي تتحدث عن الأحكام التي ينبغي أن تكون بين المسلمين والكافرين (أحكام الموالاة والمعاداة)؛ فإن هذا الصلح لم يقم على قاعدة ابتغاء مصلحة المسلمين، وإنما قام على ضرر المسلمين، ومن القواعد المقررة في فقه السياسة الشرعية أن تصرُّف الإمام**

(١) الهداية شرح البداية ٢/١٣٨.

منوط بالمصلحة؛ فما لم يكن فيه مصلحة بل مفسدة فهو تصرُّف باطل؛ لأن الشرع لا يأمر بالفساد»[1].

والكلام في الواقع العراقي أكبر بكثير مما ذكر الشيخ محمد شاكر الشريف حفظه الله من أمثلة، إذ هي الهدنة لمزيد التمكن من سرقة البلد بما فيه، وسرقة نفطه ومعادنه الثمينة، وخيراته كلها، وإقامة مشاريع أمريكا الكبرى في العالم العربي والإسلامي من خلال العراق.. وهل هؤلاء المتوسدون كراسيَّ الإمرة إلا عصابة سرقة؟

فأي فتات سيلقى للعراقيين لإسكاتهم، في مقابل سرقة كل شيء وتدمير الضرورات الخمس؟

الحالة الخامسة:

لا تصح الهدنة إذا كان فيها تسليمهم شيئاً من سلاحنا، أو إلقاؤنا سلاحنا. يقول الشيخ محمد شاكر الشريف:

[ومن الشروط الفاسدة التي لا مصلحة فيها للمسلمين مصالحتهم على "إعطائهم شيئاً من سلاحنا أو من آلات الحرب" قال ابن قدامة بعدما ذكر هذه وأشياء أخرى: "فهذه كلها شروط فاسدة لا يجوز الوفاء بها"، ويلحق بإعطاء السلاح أو آلات الحرب الموافقة على الامتناع من استخدام بعض أنواع السلاح في الوقت الذي يمتلك فيه الكفار هذا النوع من السلاح ولا يمتنعون عن استخدامه عند الحاجة إليه مثل ما يعرف في وقتنا الحاضر بأسلحة الدمار الشامل؛ فإنه لو تمت المصالحة أو المعاهدة على أن يمتنع المسلمون من تملُّك هذا النوع من الأسلحة أو صناعته، بينما

---

(١) التطبيع صلح مقبول أم تفريط مرفوض للشيخ محمد بن شاكر الشريف.

الكفَّار لا يمتنعون عن تملكه وصناعته كان هذا من الشروط الفاسدة التي لا يحل الموافقة عليها، لأنه شرط يضعف المسلمين مقابل أعدائهم كما أنه يخالف الإعداد المأمور به في قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ . . .﴾ [الأنفال: ٦٠].

فتكون نتيجة ذلك تجريد المسلمين من الأسلحة القوية التي يتحقق عن طريقها ردع العدو بإذن الله تعالى وتحقيق النصر][1].

يقول البعض: ليس في المفاوضات إلقاء المجاهدين سلاحهم، وإنما هذا اتفاق محدود على بعض المناطق ولمصلحة المسلمين!

فبالله عليكم أيُّها المفاوضون كيف سيكون التفاوض بادئ الأمر؟ أيكون على جميع مناطق العراق أم يكون على بعض مناطقه؟ أيكون الاتفاق على تأمين الأمريكيين في المناطق الآمنين فيها أم يكون في المناطق الخائفين فيها والتي يطلبون فيها الأمان لتضم لمناطق الميليشيات المأمونة لديهم.. لتضم كمناطق جديدة تصنف في الخارطة العسكرية الأمريكية آمنة بسبب الميليشيات الجهادية! وستأتي الأيام وينكشف هؤلاء على حقيقتهم التي لم يدركوها في أول المفاوضات، لكننا الآن ونحن نذكر هذا البلاغ إنما نشهد الله عليهم بالبلاغ، ونسأل الله أن يعافينا وإخواننا من الأهواء والفتن.

وها قد بدأت مجاميع تابعة لبعض الفصائل بدفع العربون، والعربون هو تقديم دماء بعض المجاهدين قرباناً للغاصبين، وذلك بحجة ارتكاب أخف الضررين، فهم يقولون نحن نشكل قوى أمنية يشرف عليها

(١) المصدر السابق.

الأمريكيين وقد نضطر لقتل بعض المعارضين، وهذا أخفُّ مما لو استلم المنطقة الرافضة فإنهم سيقتلون الكثير!

وقد جهل هؤلاء الظالمون المفسدون الضالون الذين وقعوا في فخ الصياد الأمريكي أن قاعدة ارتكاب أخف الضررين لا تنزل على مسائل القتل(١) وإليك ما قاله الأئمة في ذلك:

قال العلَّامة الحافظ ابن حجر رحمه الله: «**وأما من استدلَّ به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمَن وقطع أذنها لتتميز، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفساً كثيرة قبل أن يتعاطى شيئاً من ذلك، وإنما فعل الخضر ذلك لإطلاع الله تعالى عليه**»(٢).

وفي «البحر المحيط» للزركشي: «**إذا أشرف جماعة في سفينة على الغرق ولو غرق بعضهم لنجوا فلا يجوز تغريق البعض**»(٣).

وقال القرطبي: «**الاقتراع على إلقاء الآدمي في البحر لا يجوز، وقد**

---

(١) وقد اعترض بعضهم على ذلك بمسألة التترس؛ وهذا من الجهل، فإن مسألة التترس لها شروطها وضوابطها، وقبل ذلك فإن مسألة التترس الأصل فيها قتل الكفار، ويجب على الفاعل أن لا يقصد المسلمين. أما مسألتنا فليس فيها قتل للكفار وإنما قتل وقصد محض للمسلمين، فأين هذه من تلك؟! ولكنه الهوى يعمي ويصم نسأل الله العافية.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٣٣٦ (طبعة الفاريابي).

(٣) البحر المحيط ٤/ ٣٨٠.

ظن بعض الناس أن البحر إذا هاج على القوم فاضطروا إلى تخفيف السفينة أن القرعة تضرب عليهم فيطرح بعضهم تخفيفاً، وهذا فاسد فإنها لا تخف برمي بعض الرجال، وإنما ذلك في الأموال، ولكنهم يصبرون على قضاء الله عزَّ وجلَّ»[1].

فهذه النصوص واضحة الدلالة على أن قاعدة ارتكاب أخف الضررين لا يمكن تطبيقها في مسائل القتل التي ذكرناها.

الحالة السادسة:

أن تكون الهدنة أبدية، إذ معنى كونها أبدية يقتضي إلغاء الجهاد في سبيل الله، وهو فريضة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وعلى هذا اتفاق العلماء، لكن اختلافهم في تحديد المدة.

قال الدكتور وهبة الزحيلي:

[اتفق الفقهاء على أن عقد الصلح مع العدو لابد من أن يكون مقدراً بمدة معينة، فلا تصح المهادنة إلى الأبد من غير تقدير بمدة، وإنما هي عقد مؤقت؛ لأن الصلح الدائم يفضي إلى ترك الجهاد، ومع هذا الاتفاق فإنهم اختلفوا في المدة التي تجوز فيها الهدنة. فقال الشافعية: إذا كان بالمسلمين قوة فتجوز لمدة أربعة أشهر فما فوقها إلى ما دون سنة في الأظهر لقوله تعالى:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . . .﴾ [التوبة: ١ ـ ٢].

ولأن الرسول ﷺ هادن صفوان بن أمية أربعة أشهر عام الفتح[2]. ولا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٦١٧.

(٢) راجع تلخيص الحبير ٤/ ١٣١، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٧٢٠.

تبلغ المدة سنة؛ لأنها مدة تجب فيها الجزية، فإن كان بالمسلمين ضعف فتجوز لعشر سنين فقط فما دونها بحسب الحاجة؛ لأن هذا غاية مدة الهدنة لأنه ﷺ هادن قريشاً في الحديبية هذه المدة على المعتمد، فإن لم يقوَ المسلمون طوال تلك المدة فلا بأس أن يجدد الإمام مدة مثلها أو دونها على رجاء أن يقووا، وإذا انقضت المدة والحاجة باقية استؤنف العقد. وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد. وقال أبو الخطاب من الحنابلة: ظاهر كلام أحمد أنه يجوز على أكثر من عشر سنين على حسب ما يراه الإمام من المصلحة بعد اجتهاده. والذي يبدو أن ما نقله أبو الخطاب هو الأصح عند الحنابلة[1].

وقال الحنفية والمالكية: ليس للهدنة مدة معينة، إنما تقدير المدة راجع إلى اجتهاد الإمام قدر الحاجة، لأن المهادنة عقد جائز لمدة عشر سنين فتجوز الزيادة عليها كعقد الإجارة][2].

إننا حين نتكلم عن اشتراط العلماء تحديد المدة فذلك لا يعني جواز الهدنة مع هؤلاء الصليبيين، فتحديد المدة لمن كانت مفاوضاته مشروعة وهذا في جهاد الطلب، أما هؤلاء فلأنهم احتلوا بلادنا فقد عرفت اتفاق الفقهاء على بطلان الهدنة معهم حتى لو كانت ليوم واحد، ومثل من تعلق بتحديد المدة ونسي الشروط الأخرى كمثل من صلَّى الظهر أربعاً بغير شروط ولا أركان؛ فلا طهارة ولا استقبال القبلة ولا ستر عورة ولا شيء من ذلك!

ملاحظة مهمة: يلاحظ أن نصوص الفقهاء التي أوردناها في الهدنة

---

(١) كشاف القناع ٣/ ١٠٤.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ٨/ ٥٨٧٧ .

إنما هي في جهاد الطلب لا في جهاد الدفع، فالهدنة في جهاد الطلب مشروعة بالشروط التي ذكرت سابقاً، أما في جهاد الدفع فلا تجوز أبداً، لأن فيها إقراراً لبقاء الكفار في أرض الإسلام وهذا ما اتفق العلماء على تحريمه، إلا إذا خشي المسلمون الاصطلام[1] (الاستئصال التام).

وإن المرء ليعجب أعظم العجب من أُناس يقرؤون في القرآن صفات اليهود وصفات المنافقين، ثم إذا جاء موقف معيَّن مثل ذلك الموقف نأوا بأنفسهم عنه، فإذا جئت تذكرهم بالله وبما أنزل الله تعالى في أقوام سابقين وما حقَّ عليهم نهضوا يجادلونك معتذرين بعدم تمام انطباق النص عليهم، ظاهرين في الفرار أكثر من أهل الظاهر، ومتأولين في تأويل التخلف أكثر من أهل الهوى، فأي اختلاف بين هؤلاء المعتذرين عن قتال الأمريكيين لجبروتهم وقوتهم، مطالبين بهدنتهم بدل قتالهم ليخرجوا بأنفسهم من العراق كما وعد الأمريكيين، وبين أصحاب موسى عليه السلام الذين رفضوا دخول القرية إلا بعد خروج الجبابرة منها لعظم خلقهم وجبروتهم وبطشهم.؟ فليخرجوا بأيَّة طريقة سواء كانت معجزة، أو مفاوضات، المهم أن يخرجوا بغير قتال!

بالله عليكم اقرؤوا الآية من جديد، وانظروا في أنفسكم أيُّها المهادنون فما أعظم الشبه بينكم وبين أصحاب موسى عليه السلام، وما أبعد الشبه بينكم وبين أصحاب محمد ﷺ:

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ

---

(١) انظر الحاوي للماوردي ١٤/ ٣٥٥.

أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟
مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟
عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ
إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

قال ابن كثير: [**وما أحسن ما أجاب به من الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله حين استشارهم في قتال النفير الذين جاؤوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان، فلما فات اقتناص العير واقترب منهم النفير وهم في جمع ما بين التسع مئة إلى الألف في الْعُدَّة وَالْبِيض وَالْيَلَب، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن، ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين ورسول الله ﷺ يقول «أشيروا عليَّ أيُّها المسلمون». وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار؛ لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: كأنك تعرض بنا يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعلَّ الله أن يريك منا ما تقرُّ به عينك فَسرْ بنا على بركة الله، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك**][(١)].

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠.

ويقول سيد قطب رحمه الله: [**إن جبلَّة اليهود لتبدو هنا على حقيقتها، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل، ذلك أنهم أمام الخطر، فلا بقية إذن من تجمل، ولا محاولة إذن للتشجع، ولا مجال كذلك للتمحل، إن الخطر ماثل قريب، ومن ثم لا يعصمهم منه حتى وعد الله لهم بأنهم أصحاب هذه الأرض، وأن الله قد كتبها لهم، فهم يريدون نصراً رخيصاً، لا ثمن له، ولا جهد فيه، نصراً مريحاً يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى! إن فيها قوماً جبَّارين. ويقول في:** ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]: **هكذا في وقاحة العاجز، التي لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مدَّ اللسان! أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان!**

فاذهب أنت وربك فليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال!

إنا ههنا قاعدون: لا نريد ملكاً، ولا نريد عزّاً، ولا نريد أرض الميعاد، ودونها لقاء الجبارين!][(١)].

ألا فليتأمل هؤلاء ما قال الإمام ابن كثير في تفسيره: [وهذه القصة تضمنت تقريع وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتهما فيما أمراهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، هذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعُددهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٠.

وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه ويقولون مع ذلك: نحن أبناء الله وأحباؤه. فقبح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقرود، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأكيد الخلود وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود][1].

ووالله كم سيندم هؤلاء الذين يفاوضون حتى وإن تابوا. بل سيندم الذين جاهدوا إذا لم يسبقوا بالكلمة الأولى، الكلمة المثبتة، الحاضة الموافقة لكلام الله تعالى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليَّ مما عُدِل[2] به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى (فاذهب أنت وربك فقاتلا) ولكنَّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيتُ النبي ﷺ أشرق وجهه وسَرَّهُ، يعني قوله[3].



(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢.

(٢) قال في فتح الباري ٩/ ١٨: (أيُّ وزن، أي: من كل شيء يقابل ذلك من الدنيويات وقيل من الثواب أو المراد الأعم من ذلك والمراد المبالغة في عظمة ذلك المشهد وأنه كان لو خيّر بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائناً ما كان لكان حصوله أحبَّ إليه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، وأحمد (٣٦٩٨)، والنسائي في الكبرى (١١١٤٠).

الفصل الرابع

أولاً: وصفة الصياد

أثبت التاريخ استعصاء المسلمين على الاستسلام في ميدان الجهاد، وذلك أنهم لا يفرون من الزحف إلا نادراً، وأنهم يتمنون الشهادة في سبيل الله..

وسوف أسوق لإخواننا في الجهاد تجربة من خاض المفاوضات من قبل، ليروا النتيجة قبل أن يكونوا هم النتيجة المروية للأجيال:

ففي بيان من لجنة "**الإعلام الخارجي لجبهة تحرير مورو الإسلامية**" بتاريخ ١٤١٤هـ -١٩٩٣م لخَّص تجربتها على لسان كاتب أمريكي منصف، قالت اللجنة: [**أَكَّد لنا التاريخ أن الاستعمار الصليبي - رغم جهوده - لم يهزم مسلمي مورو في ميدان الحرب، ولكنه هزمهم في مائدة المفاوضات. لقد خاض مسلمو مورو أطول حرب في التاريخ كما قال المؤرخ الأمريكي فيك هارلي في كتابه (هسهسة السيف)، وفيما يلي مقتطفات وترجمة من الكتاب المذكور: «تعتبر بلاد بانجسا مورو من أقدم ميادين الحرب في العالم، فقد خاض مسلمو مورو حروباً مريرة استمرت ٣٧٧ عاماً ضد الحملات الإسبانية المتتالية التي شهدتها الأجيال المتلاحقة، ولعل العالم لم يسجل حروباً دامية مريرة أطول من حروب مورو ضد الإسبان.**

وقد فشلت محاولات المعتدين للسيطرة على شعب مورو الشجاع

وفي عام ١٨٩٩م ألقى المعتدون سلاحهم وغادروا المنطقة خائبين ذليلين، وانتصر السيف على البندقية، وبقي شعب مورو وبقيت عقيدته حيث انتصر الإسلام على الصليب في أرض بانجسامورو». هذه ترجمة ما قاله المؤرخ الأمريكي في كتابه المذكور.

ومضى قائلاً: «**وفي غرة القرن العشرين جاء الأمريكيون، وحاولوا عبثاً أن يخضعوا مسلمي مورو لحكمهم، وعندما أدرك الأمريكيون أن مسلمي مورو لا يعرفون الاستسلام، بل يحبون الموت (الاستشهاد في سبيل الله)، ولن يتوقفوا عن الجهاد إلى آخر رجل منهم، عرض عليهم الأمريكيون وقف القتال والمفاوضات معلنين أنهم لا يريدون السيطرة على البلاد، وإنما يريدون التعاون في المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية، فوافق المسلمون، وبذلك نال الأمريكيون غرضهم، ولم يهزموا المسلمين في ميدان الحرب، ولكنهم هزموهم في مائدة المفاوضات، ووقعت بلادهم تحت حكم الولايات المتحدة الأمريكية. وقد فشل الحديد والنار في قهر شعب مورو المسلم وإخضاعه، وأصبحت بلاد مورو تحت الحكم الأمريكي عام ١٩٣٥م؛ بسبب دخول شعب مورو في المفاوضات مع الأمريكان، ثم ضمتها أمريكا إلى الفلبين عام ١٩٤٦م حين منحت الأولى الثانية استقلالها في ذلك العام، أي: أن أمريكا أعطت شعب مورو للفلبين جزاء لمساعدتها لهم في حرق هذا الشعب**».

هكذا لم يهزم شعبنا المسلم أمام القوات العسكرية التي فاقت قواتها مئات المرات إمكانياته المادية، ولكنه انهزم عن طريق الحيلة والمكر وبواسطة المفاوضات المقرونة بالخداع][1].

---

(١) مجلة البيان العدد ٦٨ ص ٨٢، المسلمون والعالم، مجاهدو مورو لم يهزمهم الاستعمار، لكن هزمتهم مائدة المفاوضات.

فيا أيُّها المهادنون العراقيون:

هؤلاء صبروا على الجهاد وتكاليفه طوال تلك القرون، وأنتم لما تكملوا خمس سنوات بعد وهرعتم للمهادنة!

هؤلاء ذهبت ثمرتهم بعد كل هذه القرون الجهادية بالمفاوضات، وأنتم ترجون النصر من المهادنة بعد هذه الأيام الجهادية القليلة نسبة لهؤلاء.

هؤلاء ضحكت عليهم أمريكا بالمفاوضات، وأنتم عديمو الخبرة السياسية تريدون غلبة أمريكا بالمفاوضات!

وهل ما جرى في إندونيسيا بقيادة المجاهد محمد ناصر وحزب ماشومي وجناحه الجهادي "**دار الإسلام**" يخفى على مطَّلع.؟!

لقد استطاع العلمانيون اغتصاب ثمرة الجهاد من أيدي أهله، ولكن بالمفاوضات.

فبعدما تحقق استقلال أندونيسيا بعد الحرب العالمية الثانية، عين الرئيس سوكارنو المجاهد "**الدكتور محمد ناصر**" رئيساً للوزراء وأعطاه من الصلاحيات الكثير.

وكان طبيعياً أن تكون مهمته الأولى هي استقرار البلاد وأمنها، ولكن كيف سيكون أمن البلاد إذا لم تسحب الأسلحة من أيدي الناس؟

وهل الأسلحة إلَّا في أيدي حزب ماشومي، وجناحه الجهادي "**دار الإسلام**"..

وفعلاً طالب رئيس الوزراء صحبه بنزع أسلحتهم، لكنهم رفضوا، فضغط عليهم بكل ما يستطيع حتى أنزلهم من الجبال وأخرجهم من الغابات، وأصبحوا بلا حصون ولا مأوى، ثم نزع أسلحتهم! فقضى على حركته بيده، ونقض غزله بعد ما استحكم!

وبعدما قضى على إخوانه كحركة جهادية عزله سوكارنو، فعاش محمد ناصر إلى آخر حياته نادماً منبوذاً من إخوانه إلى أن مات..!

فيها أيُّها المجاهدون المهادنون:

هب أن أمريكا منحتكم رئاسة الوزراء، فهل سيكون مصيركم أحسن من مصير المجاهد محمد ناصر؟

وهل سيكون دوركم إلَّا حفظ الأمن في البلاد للأمريكيين؟

وهل سيكون الإنجاز إلَّا بترويض إخوانكم أو بتركيعهم؟

وهل سيجد الأمريكيون عندها مفاوضاً أحسن منكم؟

أيُّها المجاهدون:

انظروا في كل الحركات الجهادية في العالم الإسلامي، كيف قطف اليهود والصليبيون والعلمانيون ثمرتها؟

وهل قطفوها إلَّا بالمفاوضات؟

فما لكم تهرعون إلى وصفة الصياد، وشراكه!

أيُّها المجاهدون:

لم يبقَ أمام العدو إلَّا هذا الملجأ ليلوذ به، فهل من العقل أن تفتحوه له أم توصدوه في وجهه؟

أيُّها المجاهدون:

هل سكنت العمليات الاستشهادية في فلسطين، وهدأت تل أبيب والمدن الإسرائيلية وأمنت إلَّا بعد دخول المجاهدين في المفاوضات مع الفلسطينيين العلمانيين؟



ثانياً: ثمرات المفاوضات

إننا لا نستطيع الحكم على شيء حتى نتصوره ونتصور آثاره، وهذا يدخل في باب المصالح والمفاسد، وفي باب الحكم بالمآلات وهو قبل ذلك يدخل في قول الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

وقوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فالشاهد من هذه الآيات وأمثالها هو الحكم بالمآل، ووجوب الحذر حاضراً حماية للمستقبل.

إذاً لابد لنا أن نتصور ثمرات الهدنة علينا وعلى أمريكا إن كان هناك من ثمرات لنا، فمن حَكَمَ حكم على بينة، ومن هلك هَلك عن بينة، وأنا والله أعجب كيف يجعل المجاهدون هذا الأمر محلَّ أخذ ورد.

يزين الأمريكيون كما يزين الشيطان ما يريدون تحقيقه في أعيننا بينما كله ثمرات لهم!

فما أعظم غفلة المفاوضين المخدوعين عما ستجنيه أمريكا من ثمرات!

فبعدما رأى أصحاب السؤال من الإجرام الواقع على الأهل، وهتك الأعراض الشريفة، وذهاب الأمن، واستعلاء الكفر، والجهل، والغلو، والباطنية، هنا يأتون متسائلين، بل مستغيثين بطلب النجدة من المفتي أيجوز لنا أن نتفق مع الأمريكيين على أن نحقق مكاسب عديدة، فمنها أن يسلِّمونا مناطق سنية من الرافضة، ويمنحونا أسلحة خفيفة، ومكافآت، في مقابل أن نسمح لهم بالمرور بالمناطق، وأن نوقف عملياتنا ضدهم؟

ومن يدري فلعلَّ الثمرة أُخفيت في ثنايا السؤال حيث الغنيمة الباردة التي يتصورونها! كيف نستكثرها على أنفسنا ورب العالمين قالها عن ذلك الجيل الطاهر المُطهَّر، إذ قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

والضعف هنا لا شك أكبر، والثمرة لا شك أكبر، فهي دنيا وهي أموال.

أيُّها السائلون الرَّاغبون في الهدنة:

إذاً ماذا كنتم تنتظرون قبل اليوم من أنواع الضغوطات؟

لعلكم صدقتم أنهم سيبادلونكم الورود بالورود.

ألم تكونوا تتوقعون أن يضغطوا عليكم بما لا يحتمل ولا يُطاق؟

ألم تكونوا تتوقعون أن يحاولوا ليَّ الذراع المصاب، وطعن الجرح النازف في وسطه.

أكان مفاجئاً أن يضغطوا على عصب الأعراض؟ فاحمدوا الله أن

أعراضنا لم تذهب بنفسها أبداً كما ذهبت الغاويات إنما هو الإكراه، وهذا عنوان شرف لها.

أكان مفاجئاً أن يقطعوا الكهرباء والماء؟

أكان مفاجئاً أن يسلطوا كلابهم على مناطقنا؟

أم كان مفاجئاً أن يخذلنا الكثير من بني قومنا؟

ألم يقل الله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وبعد هذا فلننظر: ما الذي يفرح العدو. أيفرحه أن نفاوضه، أو أن نعرض عن عروضه كلها إعراضنا عمَّن يفاوضنا على أعراضنا؟ بل زيادة لزيادة تعلق المسألة بمصلحة الدين.

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: (**إن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة أما إذا كان الإسلام ظاهراً على الكفر، ولم تظهر المصلحة في المصالحة فلا**)[1].

فهل ترى حملة الصليب يختارون الأحظ للإسلام، أم الأحظ للصليب..؟!

أتراهم يجنحون للسلم لو لم تبلغ النكاية بهم مبلغاً يخيفهم من الانهيار؟

أتراهم يسارعون في هذا الأمر لولا شعورهم الواقعي بمسارعة الهزيمة لهم؟

(١) فتح الباري ٦/ ٦٥٧.

وصدق الله العظيم إذ قال:

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

إذاً فسبب المفاوضات كما يعترف به المجاهدون هو ما ذكر من صنيع الرافضة والأمريكيين، والضغط على عصب الأعراض، والأبناء، والاستقرار، والمال!

إذاً فأبشروا أيُّها المفاوضون بابتزاز لا ينتهي أبداً، فكلما عجزت أمريكا عن أخذ مطالبها الجديدة المتجددة، هيجت عليكم كلابها الأوفياء، أو كلابها الأغبياء! إن لم ترضوا بمطالبها وأعطيتموها ما تريد كما أعطيتموها أول مرة، والانحدار إلى السلمة السفلى أسهل من الانحدار الأول، وقد قال الله تعالى:

﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ...﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ولتبشروا بالمنصب الجديد الذي توليكم إيَّاه أمريكا بتحويل حماية المناطق من كلابها إليكم، لتقوموا بنفس الدور وحاشاكم أن تحملوا نفس الصفة!

أيُّها المجاهدون:

متى أصبحت أمريكا تحلم أن يكفيها عدوها حراسة مناطق ضعفها؟

ومتى أصبحت أمريكا تحلم أن يصبح المجاهدون لها حماة من إخوانهم المجاهدين؟

وهل سيكون هؤلاء المجاهدون المهادنون حماة لطرق دوريات الأمريكيين وآلياتهم المارَّة في مناطقكم إلَّا من عمليات المجاهدين الأُباة الذين رفضوا مثل هذا الاستعمال؟

ألن يكون من حق أمريكا إن تعرَّضوا لعملية - بعد الاتفاق - من قِبل فصيل أبيٍّ من فصائل المجاهدين مطالبة المهادنين بالوفاء بشرطها؟

ألن يكون من حقها مطالبة المجاهدين المهادنين! بتسليم إخوانهم المجاهدين؟ فإما أن يسلموهم أو يقيموا الحكم عليهم، أو على الأقل يحفظوا الأمن والأمان مرة أخرى لقوافل الأمريكيين عسكرية كانت أم تجارية!

إنه مشروع الإنقاذ الحقيقي لجيوش الصليب التي بدت اليوم تأمن أكثر فأكثر! وبدأت حالات الانفلات العصبي الهستيري تخف عندهم أكثر وأكثر؟ إذ بدأت عمليات بعض الفصائل تخف أكثر فأكثر!

وأصبح قائد القوات الأمريكية في العراق والسفير الأمريكي يتبجحون أمام الكونغرس الأمريكي بما حققوه على أيدي السنة أنفسهم، وبمن جندوهم من أبناء العشائر!

فيا لهول المصاب ويا لغفلة القوم! ويا لعدم تقدير العواقب من بعض المجاهدين وهم أهل الميدان!

إن ثمرة هذه المفاوضات الكبرى هي إنقاذ أمريكا، وإنقاذ كل المرتبطين بأمريكا مصيريّاً في هذه المرحلة الزمنية، وهل المرتبط بها إلَّا مجرمو التاريخ؟

سؤال إثر سؤال: أوجهه لهؤلاء فليجيبوا عليه، والله على ما يقولون شهيد، وكفى بالله شهيداً.

ألا يتمنى الموقعون على هذا الاتفاق، والقابلون لهذه الهدنة مع الأمريكيين لو أن إخوانهم في الجهاد جميعاً وافقوا، حتى لا يظهروا لوحدهم نشازاً في لحن الجهاد؟ نعم بغير شك، فالأمر كما قال الله تعالى في المنافقين:

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً. . .﴾ [النساء: ٨٩].

ولن يتوقفوا عند هذا الحد، بل سيسعى هؤلاء المهادنون إلى إقناع إخوانهم الآخرين بذلك، وهم أقدر على إقناعهم من الأمريكيين فيصبحوا وسطاء وعملاء!

ومتى أصبحت أمريكا تجد مثل هذه النوعية المقبولة للتفاوض عنها لدى المجاهدين؟

ألا فلتهنأ أمريكا بالمالكي من تلك الجهة، وتهنأ بكم أيُّها المفاوضون على الجهاد من هذه الجهة!

والسؤال التابع له: ألن يكون مصير العراق كله - إن وافق الجميع كما وافقتم أيُّها المفاوضون - أن يصبح ساحة الأمن والأمان لكن بلا إيمان؟

الأمن والأمان في أحضان الأمريكيين..!

الأمن والأمان ليتقلب الذين كفروا في البلاد، أين شاءوا وحيث شاءوا، ليلاً ونهاراً، أفراداً وجماعات، تجاراً وعساكر، بحراسة من كان يوماً من الأيام مجاهداً في سبيل الله!

وبعد هذا السؤال سؤال: ألن يكون لهذا التغيير تغيير حقيقي على مستقبل العراق كبلد إسلامي؟ نعم كبلد إسلامي سني، كيف إذا أخمد أهل الجمر جمرهم وكسر أهل الشوكة شوكتهم؟ ماذا ينتظر بعدها من العدو؟

ستعود أحلامه - التي كادت تتبخر - غضة طرية، ويكون بعدها العراق كما خطط له "قسيس بوش" البلد التبشيري الأول في الشرق الأوسط! راعي الردة الأولى في العالم الإسلامي! منبع التغيير التاريخي

لخارطة الطريق العقدية الجديدة أولاً والجغرافية ثانياً! البلد الذي سوف يخلِّد ذكر بوش الذي أصبح قومه يلعنونه ويلعنون مخططاته التي ناضل لتحقيقها وأخيراً قبضها ممن قاتلوه يوماً من الأيام!

فبالله عليكم كم سيتحمل المهادنون والموقعون من أوزار لا تعد ولا تحصى سعة وثقلاً، ولا تعد أفراداً وأمماً، ولا تنتهي تاريخاً وأثراً؟

وسؤال آخر: هل كل أمنٍ واستقرار مطلوب وغاية، ولو كان استقرار السارق في بيتك، أو كان استقرار العاهر على جسد الشريفة؟

ماذا إذا أمن الأمريكيون وأمنتم وأمنت بلادكم في ظل حكومة إيران ممثلة بالمالكي أو فلان أو فلان؟ أهذا أمان تفخرون به، وتسعون إليه، وتفارقون إخوانكم اليوم من أجله، وربما تقاتلونهم في الغد دفاعاً عنه؟

إذاً؛ فلقد أحسن الحزب الإسلامي الذي أنكرتم عليه حين اختصر الطريق من أول مرة ودخل في الحكومة وفاوض العدو، وحاول التوسط بينكم وبينه.

بل لقد بلغ الذروة الهاشمي التي ربما لن تصلوا إليها حين رفعه العدو ليلتقي بوش في البيت الأبيض، ورغماً عن المالكي كما يزعمون..!

كيف تصبح القواعد الأمريكية في أمان تام؟ كيف تصبح زيادة عدد السنَّة في الحكومة العراقية حافزاً لتنازل المجاهدين عن جهاد الأمريكيين؟

أترى هؤلاء المجاهدين قاتلوا الأمريكيين من قبل لأجل مقاعد في حكومة أمريكية إيرانية مرتدة، حتى تسكت جهادهم منحة هذه المقاعد؟

ثم يطمعوننا أكثر فيقولون: نحن لن نطيل المقام في بلادكم ما وفيتم لنا!

بالله عليكم أيُّها المجاهدون المهادنون: أترى هؤلاء لن يطيلوا في

بلادنا بناءً على تفاوضنا معهم، وتأمينهم في بلادنا، وتمكينهم من نهب خيراتنا، وتمكينهم من تطبيق مناهجهم علينا وعلى أمتنا، وتمكينهم من حماية اليهود، وتمكينهم من برِّنا وبحرنا وجوِّنا؟

أم كان الإلحاح - الأمريكي الداخلي - بسرعة الانسحاب ناتجاً عن الجهاد وعملياته المباركة؟

متى أصبح الانسحاب وعدمه أو تعجيله أو تأجيله عائداً لهم ولاختيارهم؟

ألم تسمعوا إلى سفيرهم مع قائدهم كيف برَّرا عند جلسة الكونغرس الأخيرة بقاءهم في العراق بتحسن الوضع الأمني، وهدوء المناطق السنية؟

ثم متى كان المسْلم يصدِّق عدوه المشرك المحارب له، المغتصب لبلده وعرضه، المنتهك لحرمة مسجده ومصحفه؟ كيف يصدق له عهداً والقرآن يكذبه إذ يقول الله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

ثم افرض أن هؤلاء - المفاوضين الأمريكيين - وفَّوا حاليّاً، أترى الوفاء طبيعة منهم مع المسلمين حتى يفي بها من يأتي بعد هؤلاء حفظاً للعهد الأول؟

أترى هذا العهد ملزماً لمن يأتي بعد بوش، وبعد الذي بعده؟

ماذا تراكم صانعين إذا ما أسلموا العراق إلى إيران مقسماً؟

وهل هذه العصبة إلا ربيبة إيران؟

أم ترانا إذا لم يلتزموا قمنا ثانية إلى السلاح وجاهدناهم؟

لكن سنجاهدهم على ماذا هذه المرة؟ إننا سوف نجاهدهم ليوفوا لنا ما عاهدونا عليه، فإذا أوفوا رجعنا إلى حمايتهم ثانية وهكذا؟

ليصبح الفرق بين الجهادين هو أن الله تعالى لن يكون معنا هذه المرة، لأننا لم نقاتل لأجله إنما قاتلنا لدنيا! لعهود مخالفة لأمره، طالبنا المشركين المغتصبين بها!

حقّاً إنه الشيطان! إنسيّاً كان أم جنيّاً!

فكم ضحكنا من قصة ذاك الفتى الذي ضحك عليه الشيطان، وها نحن اليوم نرى كيف أصبحنا أو نكاد أن نصبح أضحوكة للشيطان الإنسي؟

تلك القصة التي تعلمناها في صبانا، حين انطلق ذاك الفتى الغيور على عقيدة التوحيد إلى شجرة تُعبد من دون الله بفأسه ليقطعها، فاعترض الشيطان طريقه وقال له: لن أدعك تقطعها، فصارعه لكن الموحِّد صرعه، وعاد الموحِّد إلى منزله؛ لأن الليل أظله، ثم عاد لها في الغد فصارعه الشيطان فصرعه الموحد لكنه عاد لأن الليل أظله.

وهكذا في المرة الثالثة، وعندها رأى الشيطان أن القوة لا تنفع مع هذا الموحد الغيور، فجاءه بالليل يقول له: لا تقطع الشجرة وسوف أجعل لك تحت وسادتك كل يوم ديناراً تأخذه وتتصدق به، وتفعل به الخيرات. واستيقظ من منامه مستذكراً حاجياته وحاجيات الفقراء، فوافق على هذا العرض السخي فأصبح في اليوم الأول وقد رأى الدينار تحت وسادته، ففرح به، ثم جاء اليوم الثاني فوجد الدينار، فلما أصبح في اليوم الثالث لم يجد الدينار! فخرج غاضباً عازماً على قطع الشجرة فاعترضه الشيطان قائلاً: ليس لك إلى الشجرة سبيل. فصارعه فصرعه الشيطان، فقام في المرة الثانية فصرعه الشيطان أسرع من المرة الأولى، وكان الأمر في الثالثة أسرع، فيأس الشاب ورأى ضعفه وذهاب قوته!

فسأل الشيطان عن سرِّ ضعفه في هذه المرة دون الأولى التي صرع فيها الشيطان فقال له: كان الله معك في المرة الأولى؛ لأنك تقاتل عن عقيدة التوحيد، واليوم تقاتل لأجل الدينار الذي لم أضعه تحت وسادتك!

وهكذا فكل ما نفاوض من أجل حفظه وحمايته الآن سوف ندفع أضعافه غداً، وندفع عن يدٍ ونحن أذلة صاغرون، راجين منهم قبوله، والفضل لهم إن قبلوه!

فإذا كانت مهادنتنا من أجل أمن الديار من الدمار، فهذا تسليم للديار لهم وحمايتها بأيدينا لهم! وهل كانت الضربات الأمريكية بما تكلفهم من تكاليف باهظة، وتزلزل حصونهم من داخلها إلا لتحقيق ذلك؟ ها هي الثمرة جاءتهم اليوم من غير تكاليف تكلفوها، وبرضانا!

وإذا كانت مفاوضاتنا من أجل الأعراض، فإن الأعراض التي انتهكت من قبل كانت تثير الغيرة والنخوة والانتقام؛ لأننا نعهدها اغتصاباً، أما بعد نجاح المفاوضات فإن نهايتها هو خروج كثير من الأعراض بنفسها إلى قارعة الطريق وذلك من خلال السكر الإعلامي، والشاشة السامرية الفضية، وخوار العجل الساحر، والمناهج التعليمية التي سترخي حَبل العِرْض المشدود شيئاً فشيئاً، ثم الحماية القانونية للعرض المكشوف من بقايا الغيرة!

وإذا كانت مفاوضاتنا لأجل مرتبات يعطيها الأمريكيون لشرطة هنا وشرطة هناك، ويعيلوا عوائل هنا وعوائل هناك، فإن ثمن ذلك هو الأمان لأمريكا والذي من خلاله سينهبون البلد بحراسةٍ من المجاهدين أنفسهم إلى فترة لا يعلم بها إلا الله في مقابل ذلك الفتات المتساقط من أوعية مزابلهم!

إني أخشى أن تصبح الحاجيات الفردية هي محددات استراتيجياتنا

المستقبلية! وتتقاصر أنظارنا عند أقدامنا، وتتهاوى هممنا إلى الأجوفين الفم والفرج!

هل قرأنا كتاب الله جيداً؟ فإني والله لا أجد لهذا الموقف أحسن موقظاً من قول الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

لقد تركت أشرف الحرائر مكة، ومعهنَّ ابنة رسول الله ﷺ إلى بلاد الحبشة حفاظاً على الدين، وما تنازلن ولا تنازل رسول الله ﷺ!

ولقد طعنت سمية "أم عمار" بحربة في فرجها ففاضت روحها.. وما كان ذاك دافعاً للتنازل ولا ذرة.



الفصل الخامس
نذكّر بأمور عدة

الأمر الأول:

لا شك أن المتفاوضين من المجاهدين مع الأمريكيين لا يدركون عظم الذنب الذي يرتكبونه بتفاوضهم وهدنتهم، لكن الإصرار على هذا الذنب بعد إقامة الحجة بقراءة هذا البحث أو بغيره يوصل صاحبه إلى منزلق خطير، نسأل الله أن يحفظ لنا ديننا..

والتكفير عن الذنب كما هو معلوم إنما هو: بجنس الذنب من الطاعات، فمن أعلن الشرك أو سبَّ النبي ﷺ في مجلس جاهلية أعلن التوحيد وحب النبي ﷺ في ذلك المجلس.

ومن جاء من المشركين يريد قتل النبي ﷺ عاهده على حمايته وقتل أعدائه، وهكذا لم يجد عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه من كفارة لتأخره عن الإسلام إلا السبق في ميدان الشهادة، فكان قائد المئتين الذين تبايعوا على الموت في معركة اليرموك، ومن جاء جاسوساً للمشركين على المسلمين كنُعيم بن مسعود، أصبح عيناً للمسلمين على المشركين ومخذلاً لهم.

ولم يجد وحشي رضي الله عنه من كفارة تريحه لقتله حمزة رضي الله عنه إلَّا أن يقتل مسيلمة الكذاب..

وكفارة الهدنة درجات، وأعظم درجاتها الاستفادة من التغلغل الذي

وصل إليه المفاوضون من مفاوضيهم الأمريكيين، وضربهم في مقتل بحيث لا تقوم لهم في ذلك الجانب قائمة، أو أن يخذلوهم خذلاناً على الملأ حتى تكون لهم قاصمة ظهر كما فعل عبد الله بن سلام رضي الله عنه مع اليهود حين عمل لهم ذلك المشهد الإعلامي العجيب، وأظهر كيف أنهم قوم بهت، وأصبحت قصتهم تروى أبد الدهر شاهدة على ذلك..

أو يختار الطريقة التي ترضي ربه، وتريح ضميره أبد الدهر من خزي العار بتهمة العمالة التي سوف تلاحق ذراريه من بعده، فخزيه لم ينته بموته، ولن ينقطع إلا أن يغسله هو في حياته، وإلا فبئس الإرث الموروث.

ولا بد أن يكون هؤلاء المفاوضون التائبون أعظم المحذرين إخوانهم الراغبين في المفاوضات بعد ذلك، وهذا جزء ضروري من التكفير..

الأمر الثاني:

الرد إلى العلماء الربانيين المتمسكين بمنهج السلف في النظر والاستدلال.

لا شك أن الاستمساك بالكتاب والسنة هو غاية الجميع، لكن الحقيقة هي تشعب الجميع حول هذا المطلب، وإضلال الفتن بعض أهل الجهاد عن الكتاب والسنة مع أنهما العصمة من الفتن، ولذا فلا بد من ضابطٍ لإدراك مدى تحقق دعوى الالتزام بالكتاب والسنة، ولا أجد ضابطاً يلتزم به المجاهدون، ويدينون لله به، ويجعلونه حجة ما بينهم وبين الله تعالى من اتباع النبي ﷺ إلا الرد إلى العلماء الربانيين لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ووجه الشاهد من هذا: بما أن الله تعالى أمر باتباع النبي ﷺ في الآية، وأن النبي ﷺ قد التحق بالرفيق الأعلى، فالذي يمثل النبي بشهادة النبي من بين الناس هم العلماء لقوله ﷺ كما في الحديث الصحيح: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[1].

إذاً فلابد من مجلس شرعي للجهاد، وتكون قيمة هذا المجلس وسلطانه وسلطاته من سلطات الأنبياء على الناس، إذ إنهم ورثة الأنبياء، إلا أنهم غير معصومين، فإذا قلنا الكتاب والسنة فينبغي أن يعني ذلك الكتاب والسنة بفهم المجلس الشرعي هذا، فسلطان الساسة تبع لهم، وسلطان السيف والقادة العسكريين يتحرك بفتواهم.

لا يتجاوز رأيهم أيّاً كان الأمر في الإقدام أو الإحجام في التوجه إلى كذا أو التوجه إلى كذا، وينبغي أن يكون العلماء هؤلاء عَلَماً فارقاً، وفرقاناً ظاهراً ما بين الجماعات جميعاً، فكل جماعة لا تلتزم رأي هؤلاء العلماء فهي جماعة لا تلتزم بالكتاب والسنة، بهذه الجدية وبهذا الوضوح، ليحيا من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

وليس بغريب علينا أهل العراق تقديم العالم وتبجيل رأيه، والتزام فتواه، فكيف إذا كان ذلك مجلس علماء مجاهدين ربانيين عالمين بالكتاب والسنة؟

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨). قال ابن حجر (١/ ١٩٣): له شواهد يتقوى بها. وصححه الألباني. وقال شعيب: حسن.

وإنا إذا كنا قد تجاوزنا رأي العلماء في فترات سابقة فما ينبغي لنا أبداً أن نتخطى رأيهم خطوة واحدة الآن وإلى الأبد، فالخطوة في أوقات الفتن وأماكن الخطر والمهاوي ربما كانت هوياً نحو السحيق في المهاوي، وقد قال الله تعالى:

﴿. . . وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا . . .﴾ [النساء ٨٣].

وقال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

حتى وإن كان أكثر العلماء على أن طاعة أولي الأمر المقصودة هنا إنما هي طاعة الخلفاء والأمراء المسلمين إلا أن طاعة هؤلاء الخلفاء منوطة بطاعة الله عزَّ وجلَّ وطاعة رسوله ﷺ، ولم يأمر بطاعة الأمراء استقلالاً. وطاعة الله والرسول إنما تعرف بعلم العلماء، وهذا هو الذي سار عليه الخلفاء والأمراء في جميع العصور الإسلامية، فلا خير في أمراء يتقدمون العلماء، فإن ذلك هو تقديم للأهواء على الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام: «**وأولو الأمر: هم أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك به أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولوا الأمر صنفين: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس**»[1].

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٧٠.

الأمر الثالث [اصبروا واحتسبوا]:

إنّ الثمرة التي تطلبونها في جهادكم لهي بين أيديكم، فكيف تتركونها لعدوكم، وتلجؤون للهدنة؟

يعجب قارئ القرآن كيف يكون الظفر على العدو ثمرة من ثمرات الصبر؟ ويعجب أكثر من ذلك، إذ كيف يكون التمكين في الأرض ثمرة من ثمرات الصبر! فما بينكم وبين التمكين في أرضكم إلا الصبر، لكن إعلان بعض المجاهدين الهدنة إنما هو إعلان نفاد الصبر.

قال تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

من كان يتصور وقتها أن عرش فرعون سيزول بالصبر، وأن جيش فرعون سيغرق بسبب الصبر، وأن بني إسرائيل سوف يرثون حكم مصر بسبب الصبر، هكذا قال الله: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾..؟!

ألا تكفي هذه آية معجزة للعراقيين في هذا الوقت ولكل من يحتاج إلى الصبر؟

وكأن الله تعالى يقول: لا يشترط أن يكون ثمن الصبر متوقعاً من الناس كتوقع النتيجة الفلانية من السبب الفلاني، بل إن نتيجة الصبر عطاء من الله تعالى، وعطاء الله فوق كل تصور، ودليل هذا قوله تعالى:

﴿. . . إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ولذا فإن حصر معنى الجزاء في الآية على الآخرة ليس له مستند، فالأصل هو التعميم، كيف وأول الآية يؤيد شمولية هذا النوع من الأجر للدنيا والآخرة فيقول سبحانه:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وهو كقوله تعالى:

﴿. . . وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وفي سورة إبراهيم يذكر سبحانه منهجاً مستقراً في وراثة الصابرين حكم الأرض وتولي شؤونها فيقول سبحانه:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١١ ـ ١٥].

هكذا ينص الله تعالى أن سبب خيبة سعي العدو، وفشل توعده للمؤمنين بالإخراج من الأرض، ليس إلَّا بالصبر.

فكان الصبر مهلكاً للعدو ومخرجاً له من الأرض بالكلية، كما كان الصبر سبباً في خلافة الأرض للمؤمنين.

وهذا يوسف عليه السلام يختصر نجاحه في كلمتين:

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف ٩٠].

صبرٌ على حسد الإخوة في البيت الواحد، وصبر على تنفيذ الحسد

في البئر، وصبر على البيع في السوق، وصبر على فتنة النساء، وصبر على فتنة السجن، وصبر على فتنة التقريب، وصبر على فتنة الحكم وضخامة مسؤولياته. وقد فقه المؤمنون من قبل جيداً هذه السنة.

﴿... قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقد كان سرُّ رجحان كفة القلة على الكثرة بالصبر، ذلك أنهم بالصبر استجلبوا معية الله، والصف الذي يكون الله معه غالب بغير شك، ومن ثم أصبحت العلة في عرف المؤمنين محسومة، حتى لو بقي شخص واحد أو فصيل واحد، ومفهوم المخالفة أن من لم يصبر لم يكن الله معه، ولذا لن تكون الغلبة له.

وكأن سارية النصر معقودة بناصية الصبر.

﴿... رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وأن مزيد مدد الله للمؤمنين بمزيد كمية التقوى وكمية الصبر، قال تعالى في الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

بينما قال في آل عمران عن نفس المعركة:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤ ـ ١٢٥].

وكم من إغراء بالصبر في إثبات أن الحكم بيد الله وأنه سيصدر حكمه بعد صبركم.. فكيف سيكون صبركم قال تعالى:

﴿. . . فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

فما دام الحكم عند الله، والله طلب الصبر فماذا يمكن أن يكون حكم الله إذا صبرنا؟

اقرؤوا القرآن من جديد، فإنه كفيل أن يصنع منكم صفوة كفيلة أن يكسر الله بها صليب الصلبوت على رأس رئيسهم ويحرر العالم من بطشهم.

وسوف تفيء كل الطوائف إلى ساحة الصابرين نادمة مبايعة لهم.. فوعد الله واضح، ووعد الله مغرٍ للصابرين، فهل نقرأ القرآن قراءة الموقنين الذين يشعرون أن الله سبحانه وتعالى أنزله لهم ولحالهم كما أنزله للسابقين، وأنه يتعلق بجهادهم ومصيرهم كما يتعلق بأحكام صلاتهم وصيامهم وحجهم وما إلى ذلك.

ألسنا نريد النصر عند المواجهة، فالنصر محسوم بالصبر، فلم نستبدل الهدنة به، ونختلف على هذا الأمر مع إخواننا؟ والله تعالى يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

إنَّ من أعظم صور الوهن المنفي عن المنتصرين الذين يكون الله معهم هو دعوتهم ترك الجهاد للهدنة!

تقولون نريد عاقبة الأرض وحكمها، يقول موسى مخاطباً قومه:

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

تريدون الإمامة؟

الإمامة مرتبطة بالصبر:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

لا تقولوا: أعراضنا وتتركوا الجهاد لأجل هذا! فنساؤكم لم تتعرض لما تعرضت له نساء بني إسرائيل من الاستحياء بكل صوره، وأبشع صوره، وأوسع صوره، حتى إن الله تعالى ذكر ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقال سبحانه:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦].

وحين صبروا على كل ذلك تحولت الدنيا لصالحهم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ ـ ٢٤].

فبالله عليكم ألم تصب أعراض هؤلاء الذين سماهم الله أئمة؟

ألم تسلب ممتلكاتهم؟

ألم تبقر بطون أمهاتهم؟

ألم يشردوا؟

فهل عذرهم الله تعالى وما من أحد أحبَّ إليه العذر من الله حتى تعذروا أنفسكم وأنتم أتباع محمد ﷺ الذي وجهه الله لهذا الزاد فقال سبحانه:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال له:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وقال له:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧].

وقال تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٧].

أيُّها المجاهدون: سلوا أنفسكم سؤالاً واحداً:

هل إصابة الأعراض في شرفها، وإصابة البكارى في عفتها، وإصابة البيوت والذراري، هل يساوي كل ذلك عِرض واحدة من أمهات المؤمنين؟

ومع هذا يقول أبو بكر رضي الله عنه حين طالبه الصحابة بإيقاف إرسال جيش أسامة «**والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ**»[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (٣٤٥)، وابن عساكر (٣٠/ ٣١٥) وفي إسناده عباد بن كثير مختلف فيه. وقال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف.

إن الصديق حين يقول ذلك إنما يذكر بأغلى ما يمكن عند المؤمنين بعد رسول الله ﷺ.

بل الأمر أصعب من كل ذلك حينما يتعلق بحياة رسول الله ﷺ التي ما رضي الله أن يُربط ذهابها أو خسارتها بذهاب الجهاد، نعم حتى حياته ﷺ.

فماذا تساوي حياتنا أجمعين؟ قال الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

أيُّها المجاهدون: ماذا نسمي طلب التفاوض بعد الجهاد؟

كيف وقد لقيتم عدوكم؟ أليس هو تفاوضاً على ترك الجهاد؟

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: «**يا أيُّها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**». ثم قام النبي ﷺ وقال: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»[1].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم: **أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفَّر عني خطاياي؟**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢) (٢١)، وأبو داود (٢٦٣١).

فقال له رسول الله ﷺ: «نعم إن قُتِلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر». ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفَّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم وأنت صابر محتسب مُقبل غير مُدبر إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»[1].

وأخيراً أيُّها المجاهدون في سبيل الله: إذا كان الله تعالى وهو الذي له الحكم والأمر وله الدين كله يقول لكم: **(اصبروا..) أي: إنه ديني وعليكم أن تصبروا ..!**

فماذا بقي لكم من خيار؟

هل من حقكم أن تأتمروا بغير أمره وهو صاحب الدين؟

نعم إذا غيرتم النسبة، فانتسبتم إلى غير دينه.

أما أن تتكلموا باسمه فلا!

والله تعالى يقول:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فهل بقي لأحد من خيار بعد هذا؟

ثم إنه يقول فضلاً منه ومنةً، وعداً عليه حقاً، أنكم إذا صبرتم فلكم ضمان عليه تحقيق الظفر في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٥) (١١٧)، وأحمد (٢٢٥٤٢)، والترمذي (١٧١٢)، والنسائي (٦/ ٣٤).

فهل تبقى ثقة للعبد بربه إذا هو لم يصبر؟

نعم، ستقترب تلك الأماني العاجلة للمفاوضين بمواعيد الطواغيت، ستضخ الأموال، سيأمن النساء، ويلعب الأطفال، ويذهبون للمدارس، وسيحصل لكم ما ترجونه من الدنيا، لكن لو حصل كل هذا، أهذا علامة على أن هذا المعتقد حق، وأن هذا العمل صحيح؟

ومع هذا فانظروا في النهاية:

اسألوا من ألقي بنهر الدجال الذي رآه ماءً من خارجه ماذا وجد في نهره من داخله، وهل سيخرج من ناره؟

نعم، سيخرج من ناره إلى نار الله، كما قال عمن طلبوا العصمة في الجبال والبيوت:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

وي كأنَّ الله قد حشركم إليه، ووقفتم والصابرين مختصمين بين يديه.. فمن سيقرب سبحانه: الذين صبروا لوجهه، أم الذين هادنوا عدوه؟

لا لن تنتظروا طويلاً حتى ترحلوا فأعدوا لذاك الموقف عدته!

ولا أحسب رحيلكم إلا على فرش وثيرة تنزع الأرواح من كل خلية في أجسادكم نزعاً بعدما كانت الشهادة أغلى أمانيكم.

لا، لن تنتظروا في الدنيا طويلاً حتى تروا كيف سيتخلى الله عنكم، وتخذلوا بأيدي من وضعتم يده على أيديكم بديلاً عن يد الله التي بايعتموها يوماً من الأيام!

ألم يقل الله تعالى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

الأمر الرابع: الحيلولة دون تمكن العدو:

فأكبر المنكرات هو تمكن العدو في أرض العراق..

فإن العدو لن يتمكن من تحقيق مآربه كما يريد حتى يتمكن في العراق، ولذلك فإن الحيلولة دون تمكنه من البلاد بكل طريق هو من أعظم الواجبات، لأن فيها دفعاً لعموم المنكرات ومصدرها.

ولذا فإن مجاوزة كل خلاف في هذه الفترة أيّاً كان ومع من كان، ما دام في ذلك تقوية الصف في وجه العدو الأمريكي والصفوي فهو واجب فليكن جميع أهل العراق من الوعي والإدراك بحيث يحتملون على أنفسهم ما لا يُطاق لأجل الاتفاق، ويتجرعون المرارة ما دام فيها مرارة أكبر للعدو، ويكبرون على كل خلاف لئلا يدخل العدو من شرخه.

نعم إننا واقعيون وندرك أن الخلافات بين جميع الفئات لن تنتهي بمجرد جلسات وعظات ووعظيات، لكنها يجب أن تُحجَّم لتصبح محبوسة في جحر، ويطيَّن عليها فيه.

لابد أن يتكاتف الجميع على وأد المنكر في مهده قبل أن يستفحل، بحيث لو استدعى الأمر الإنكار باليد في حدود الحكمة التي يوجهها أهل العلم والخبرة فليكن الإنكار باليد، بل يجب عندها .

فالمنكر شجرة خبيثة ليس لها إلا أن تجتث من فوق الأرض.

وحين أقول يجب أن يتآلف الجميع إنما أريد الجميع حتى لا يبقى الآمرون الناهون غرباء فيسهل تحديدهم ثم تحييدهم ثم استئصالهم، أما حين يصبحون هم الأكثرية، فإن العدو يحتار في عدوه، فيذل ويهون ويخضع.

إن زلزلة قدم العدو عن كل موقع ينزل فيه هو أعظم المهمات، لأنه متى تمكن من أي قطاع من القطاعات، قطعها حسب ما خطط لها من قبل تخطيطاً وينفذ مخططاته الصليبية واليهودية.

إن هذه الزلزلة لقدمه، والإشغال لذهنه، والوخز في جلده، والتفريق لهمه لها دور كبير في إغاظته، والإغاظة هي أولى خطوات هلاكه، كما كانت الإغاظة أولى خطوات هلاك فرعون حين صاح في الناس ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٥ ـ ٥٦].

وهي كانت أولى خطوات هلاك أبي جهل حين غضب من رسول الله ﷺ لاعتراضه القافلة، فخرج بالجيش يتقدمهم رسول الله ﷺ.

وستكون هي أولى خطوات ظهور الدجال والتي يعقبها هلاكه كما قال النبي ﷺ: «**إنما يخرج من غضبةٍ يغضبها**»[(١)].

وفوق هذا فإن إغاظة العدو وإغضابه غاية يؤجر الرجل على تحقيقها كما قال الله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

كما أن إغاظة العدو والنيل منه هنا مطلوبة، إنها التي تهز أركانه، وتقض مضجعه، وتقلق منامه، كما أنها التي تنزل الرعب في قلبه.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٢) (٩٨)، وأحمد (٢٦٤٢٥)، وابن حبان (٦٧٩٣).

يجب أن نعلم يقيناً بأن عدم استقرار العدو في العراق، وزحزحة قدمه، إنما هي قضية مصير العراق، ومصير أمريكا في العراق، وإنها لمعادلة لا تقبل النقض ولا التعديل.

تقول تلك المعادلة:

إن استقر العدو اليوم فسوف يطول بقاؤه جدّاً، وإن لم يستطع الاستقرار اليوم، فلن يطول بقاؤه أبداً، لكن لن يضرب العدو فضلاً عن أن يرحل بدون تضحيات جسام، ومن تشكك في هذه القاعدة فليرجع إلى التاريخ القريب، ولينظر فيما لو أن الفيتناميين سالموا الأمريكيين، أكان يمكن أن يخرج الأمريكيون وأن يحرروا بلادهم؟

لو سالم أو استسلم الشيشانيون من أول الأمر لربما انتهت الشيشان كتاريخ وحضارة ودين!

لو استسلم أو سالم الأفغان روسيا أو أمريكا من بعدها، لربما طمس الإسلام طمساً في تلك البلاد!

لو سالم أو استسلم الفلسطينيون للإسرائيليين، لاستقرت إسرائيل، ولهاجر جميع يهود العالم إلى فلسطين.

ولو أن كل بلد أخذته أمريكا، انبطح واستسلم، لاستسلم العالم كله بحكم القوة والغلبة!

إن من ينادي بالهدنة اليوم، هو كمن نادى بالاستسلام للصليبيين يوم دخلوا بلاد المسلمين، وهو كمن يريد أن يهب أجيال هذه البلاد لقمةً سائغةً لليهود والنصارى، ويعطي اليهود والنصارى صكّاً رسمياً للبلاد، ومقدماً على طبقٍ من هوان!

أيُّها المفاوضون المهادنون:

تصوروا لو أنَّ المغتصبين للعراق هم اليهود بدل النصارى، أكان يمكن أن تقبلوا الهدنة معهم؟

إذاً فما الفارق بين الصليبيين المتصهينين وبين الصهاينة؟

هذا ونحن الأمة الوارثة لأول من قال:

﴿... حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ...﴾ [آل عمران: **١٧٣**] ولآخر نبي قالها:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: **١٧٣**].

لا شك أن ذلك سيكون مكلفاً.. مكلفاً، فالوقوف في وجه عدو جبار ليس أمراً سهلاً مذللاً، ستذهب أرواح، وتقطع أعضاء، وتوأد شبيبة، وتمزق أشلاء، وتهدم مبانٍ، وتقطع أرزاق.. كل ذلك وغير ذلك كثير ولكن ليس أمام أهل الحق إلا أن يدفعوا ثمن امتطاء ذروة السنام، أو يعيشوا خلف أذناب البقر، ليس أمامهم إلا أن يعلنوها واضحة وهم يتصورون كل ما فيها وما وراءها من تكاليف، ثم يستعذبونها قائلين:

مزقونا وانشروا اللحم على كل طريقْ
لا تبالوا، حرِّقونا وارقصوا حول الحريق
وزعونا في الصحاري، أطعمونا للحواجز
كل هذا في نظام الغرب جائز
غير أنا لن نبيع (الأرض) أو أي مدينة
هل يبيع المؤمن الصادق للأعداء دينهْ؟

ارحمونا من تفاهات حلولٍ في المزاد
ودروس من مساق الذلِّ تقرا وتعادْ
ما رضينا، فقبول الظلم ظلمٌ، والرضا بالعار عارْ
قد نذرنا دمنا زيتاً لقنديل الجهادْ
حلُّنا يأتي عزيزاً فوق صهوات الجيادْ
ليس في الأكفان محمولاً إلى (أرض الميعاد)
جردونا من رداء المجد من نبض الفضيلةْ
أسعروا الحرب علينا بقوانين القبيلةْ
لم نكن يوماً على دين (غُزَيّةْ)
بل على أقدامنا تنهار دعوى الجاهليةْ
عهدنا باق إلى آخر مسجدْ
لن نبيع (العرض) يوماً ما بقي فينا موحِّدْ
ذات يوم وقف العالم يدعو لحقوق الكائنات
كل إنسان هنا، أو حيوان، أو نبات
كل مخلوق له كل الحقوق
هكذا النص صريحاً جاء في كل اللغات
قلت للعالم: شكراً أعطني بعض حقوقي
حقَّ أرضي، وقراري، وحياتي
فتداعى علماء الأرض والأحياء من كل الجهات
درسوني عالمياً

فأتى التقرير: (لا مانع من إعطائه حقَّ الممات)

كيف أمسيتِ بلادي؟ كيف أصبحت بلادي؟

كيف أمسى البدر في جوِّك مغلول الأيادي

آه (بغداد) الحزينة، كيف أنسى شامة (الدنيا) السجينةْ

لا تلومي صارخاً يصرخ في كل النوادي

لا تلومي باكياً أبحر في الدمع سفينةْ

لا يلام المقعد المكروب إن أدمى عيونهْ

لا يلام الهائم المشتاق إن أبدى أنينهْ

قصة (الدين) دماء، وجراح، وكرامات طعينةْ

ليست (الأرض) شعاراً عربيّاً كي نخونه

ليست (الأرض) مناخاً للسياحات المشينةْ

ليست (الأرض) يتامى، وطحيناً، ومعونةْ

بسط البغي لها كفّاً من الغدر، لعينةْ

كفَّ جزار رهيب، جعل الإرهاب دينهْ

قبل أن يبسط للسلم يديه وقرونهْ

مدَّ للأغوار رجليه، وللنفط عيونه

واقرؤوا القرآن يا قومي لما لا تقرؤونهْ

كم نبي، وتقي دون حق يقتلونهْ

كم عهودٍ خفروها، واتفاق يهدرونهْ

لو هدمتم لهم الأقصى ودمرتم حصونهْ

وبـنـيـتـم لـهـم الـهـيـكـل أو مـا يـطـلـبـونـهْ
ثـم أهـديـتـم لـهـم (بـغـداد) مـن دون مـؤونـةْ
طـالـبـوكـم عـبـر أمـريـكـا وأوروبـا بـإبـداء الـمـرونـةْ
هـذه الـقـصـة لا سـلـم ولا مـا يـحـزنـونـهْ
قـصـة (الأرض) انـتـقـامٌ، صـفـقـاتٌ، ومـجـازرْ
قـصـة (الأرض) خـيـانـاتٌ، وعـهـرٌ، وكـبـائـرْ
وذرونـي أُجـمـل الـقـصـة فـي هـذا الـمـقـام
قـام قُـصَّـاص، وُوعَّـاظ، وتـجـار كـلامْ
بـشـرونـا بـسـلامٍ، ونـظـام عـالـمـي لا يـضـامْ
هـكـذا يـزعـم (تـجـار) (الـكـلام)
يا لقومي! منحة السلم عصا، طبخة السلم حصى
هـل سـنـطـهـو مـن حـصـى الـسـلـم طـعـام
يـا بـنـي قـومـي اسـمـعـوهـا
صـرخـة مـنـي تـدوِّي فـي الأنـامْ
عن قريب، عن قريب، تلد الأجواء إعصارَ السلامْ
وعـلـيـنـا وعـلـيـكـم وعـلـى الـدنـيـا الـسـلامْ



وفي الختام
لا تحقروا جهادكم،
ولا تضعوا لأمة الحرب

لقد أصبح مشروع الهدنة هو مشروع الإنقاذ الحقيقي لأمريكا برمتها، والأدلة على هذه كثيرة من ألسنة القوم، ابتداءً بتصريحات بوش التي قال فيها: إن أمن أمريكا ومستقبلها مربوط بالأمن في شوارع بغداد، وانتهاءً بدموع أصغر رتبة في الجيش الأمريكي على أرض العراق.

سوف أترك كل هذه التصريحات التي لا حدَّ لها ولا حصر، وأكتفي بآخر تصريح لقائد القوات الأمريكية في اليابان الجنرال بروس رايت، والذي نشر في جميع وكالات الأنباء، وسأنقل مقاطع منه تاركاً الحكم لكم، لتعرفوا ماذا صنع الله بهم بضرباتكم هذه:

«إن القوات الأمريكية آخذة في التراجع جرَّاء الحرب في العراق، فلقد استنزفت القدرات العسكرية الأمريكية، وأنها باتت مكشوفة عسكريّاً أمام القوة الصينية المتعاظمة».

وقال رايت أيضاً:

«إن العراق استنزف الموارد المخصصة لاستبدال أو تحديث سلاح الجو، وإن العمليات العسكرية هناك تستهلك الطاقة العملياتية القصوى للأسراب المقاتلة».

وتابع القول:

«إن استمرار الصين في تعزيز قواها العسكرية أمر مثير للقلق، مشيراً إلى تقادم الأسطول الجوي الأمريكي».

وقال أيضاً:

«إن دعم القوات البرية تطلب سحب كافة الطائرات الأمريكية المنتشرة حول العالم».

إن هذا التصريح وأمثاله يأتي بالشاهد الكافي وكفى بالله شهيداً على مدى ما أخبر الله تعالى به في قوله:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

فالآية تذكر الاشتراك في تشابه أصل الألم لا في كميته، فالله سبحانه يعلم إلى أي مدى بلغ إيلام سهام جند الله لجند الطاغوت، وأصبح القادة العسكريون يتنبؤون بأفول القوة العسكرية الأمريكية من الوجود بسبب هذه الضربات الجهادية في أرض العراق، حيث أصبح قرار الاستمرار في العراق يعني هزيمة أمريكا برمتها، بينما سحب القوات يعني هزيمة الجيش الأمريكي، ولتختر القيادة الأمريكية أحد الخيارين.

فكم ستدفع أمريكا ثمناً لهذه الهدنة التي وافقت قبولاً لدى بعض المجاهدين؟

إنها ستدفع ثمناً لحياتها؟

لا غرابة أن تدفع من الأموال والتنازلات ما لا يعد ولا يحصى فداءً لحياة أمريكا المودعة!

فكم بارك الله تعالى في رصاص القنَّاص في رأس أمريكي يتقلب في البلاد، أو عبوة ناسفة تقذف بشررها دباباتهم وهمراتهم، أو حادثة هنا

وحادثة هناك، حتى لو لم تكن دكاً لقواعد كاملة أو حصداً لأرتال متتابعة، أو جماعات أمريكية هنا وهناك.

فالعبرة - أيُّها المجاهدون - ليست بقوة الضرب ولا قوة السلاح، ولا كمية المادة المدمرة، إنما العبرة بالأثر الذي تحدثه في نفس العدو، وهذا بيد الله تعالى وحده.

وإن من الخطورة بمكان أن يضع المجاهدون لأمة الحرب؛ لأنهم متى ما وضعوها وضعت الملائكة لأمتها. وقد تحركت أسراب من الملائكة، عددهم بالألوف مسومين ومردفين لأجل ثلاثمئة مجاهد وقليل. ثم ازداد أعداد المدد من الملائكة وعدد الجيش لم يزدد، إنما الذي ازداد هو الصبر والتقوى كما قال الله تعالى.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: «فإلى أين؟» قال: هاهنا وأشار إلى بني قريظه فخرج النبي ﷺ إليهم...[1] فهل يسع مجاهداً وهو يسمع هذا الحديث أن يضع لأمة الحرب؟ وإذا وضعها فإنه لا يسعه إلا أن يلبسها سريعاً دون انتظار.. فأي أمر بعد أمر الله ورسوله ﷺ.

وإن بُعد حصون قريظة على جبريل عليه السلام كبعد حصون واشنطن عليه، كيف وهو الذي يستمع لكلام الله، من الله تعالى، ويخترق السبع الطباق وينزل في لحظة.

وإن منعة حصون واشنطن على جبريل كمنعة حصون قريظة، كيف

(١) أخرجه البخاري (٤١١٧)، ومسلم (١٧٦٩) (٦٥) و(٦٦)، وأحمد (٢٤٢٩٥).

وهو القوي المكين؟ وسواء كان الناصر جبريل أو غيره فالأمر أمر الله وما النصر إلا من عند الله.. وما دام النصر من عنده فهل يهبه لعدوه وهو يحارب وليه الذي أعد ما يستطيع وكان حجراً كحجر داود الذي قتل به جالوت.

فما أكرم حركة المجاهد بلأمته على الله، وما أبركها حيث تطلق الرصاصة في العراق وتتدكدك لها حصون الصليب في قعر داره البعيدة.

أيُّها المهادنون:

من كان يظن أن النصر بنوع السلاح أو عدد الجند أو تقدم التقنية العسكرية، فليقس الأمور بقياساته وليستبعد النصر على أمريكا لدرجة الاستحالة، لكن من أيقن أن النصر من عند الله وحده علم بركة الرصاصة على الجهاد وأثرها على الأعداء، وتغييرها لخارطة هذا العالم.

ومن زعم أن النصر بالسلاح والتقنية أو صاغ العبارة بطريقة أحد المنافقين حين قال: نحن الآن في مرحلة الإعداد لا في مرحلة الجهاد فينبغي أن ننتظر حتى نبلغ تلك المرحلة التي نكافئ فيها إسرائيل بالتقنية.

وللأسف قد قالها بعض المجاهدين اليوم! ووالله ما هذا القول إلا تفسير لكتاب الله بالهوى الذي صاغته النفوس التي أشبعت الهوان حتى الثمالة، وإلا كيف ذكرت قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ وعميت عن قوله ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ هل كلفنا إلا حدود الاستطاعة؟

وهل ابتدأ الجهاد في أفغانستان إلا برشاشات قليلة، فباركه الله حتى كانت ثمرتها انهيار الشيوعية؟

وهل كانت مسيرة النصر في التاريخ كله للحركات التحررية إلا بالحجارة والأسلحة الخفيفة ثم يكون مصيرها النصر.

ألا إنها صيحات الهوى تريد أن تتعالى على صيحات الجهاد لتطفئ نوره المتألق بأفواهها.

يكفي العصائب العراقية شاهداً على ما أقول أن يسألوا أنفسهم سؤالاً واحداً:

ما الذي هزم روسيا وحولها إلى بضاعة، تباع بأرخص الأثمان على قارعة الطريق؟

أترى المجاهدين احتلوا شبراً من حدود روسيا؟ أم أنهم أسقطوا الكرملن، أم ماذا؟

إن الذي حصل هو هزيمتهم التي تمثلت في قرار الانسحاب الروسي التاريخي على يد "**غورباتشوف**" فكان قرار الانسحاب هو إعلان الهزيمة التي سقطت فيها القوات الروسية وولت الأدبار، ومن بعده سقط "**الروبل الروسي**" فسقط كل شيء.. ولم تستطع الخزينة الروسية أن تتكفل بصيانة ترسانتها العسكرية، فتهاوت ولا تزال!

أما حِمل أمريكا فهو أثقل، إذ هي أكبر دولة مدينة في العالم اليوم وعلى مرِّ التاريخ كما أنها أكبر دولة دائنة، وصاحبة أضخم ترسانة عسكرية على مرِّ التاريخ، وعمدتها هو دولارها، ولكن الدولار هو العملة الوحيدة في العالم الذي ليس له غطاء من الذهب، إنما غطاؤه القوة، ولذا فبمجرد إعلان الانسحاب وإعلان هزيمة القوة الأمريكية يسقط الدولار لسقوط رصيده، وهو القوة ولعل هذا من مكر الله بهم..﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٦].

ألا هل بلغت؟ اللهمَّ فاشهد.

فهرس الموضوعات